سلسلة تفريغ الشُّروحات

شرح قصيدة

وَصِيَّةُ الشُّبَّان

لأبي زيد عبد الرَّحمن بن محمد الأخضري البسكري (٩٥٣هـ)



شرح: د. نبيل بلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة وصيَّــة الشُّــبَّــان

أُوْصِـيـكُـمُ مَـعَـاشِـرَ الشُّبَّانِ عَـلَـيْـكُـمُ بِـطَـاعَـةِ الـدَّيَّـانِ
إِيَّـاكُـمُ أَنْ تُـهْـمِـلُـوا أَوْقَـاتَـكُـمْ فَتَنْدَمُوا يَومًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
فَـإِنَّـمَـا غَـنِـيـمَـةُ الإِنْـسَـانِ شَـبَـابُـهُ وَالْخُسْـرُ فِي الـتَّـوَانِي
مَا أَحْسَـنَ الطَّاعَاتِ لِلشُّـبَّانِ فَـاسْـعَـوا لِـذِكْرِ اللّهِ يَا إِخْـوَانِي
وَعَمِّرُوا أَوْقَـاتَـكُـمْ بِـالـطَّـاعَـهْ وَالـذِّكْـرِ كُـلَّ لَـحْظَـةٍ وسَـاعَـهْ
فَمَنْ تَفُتْهُ لَحْظَةٌ مِنْ عُمْرِهِ تَكُنْ عَلَيْهِ حَسْـرَةٌ فِي قَبرِهِ
وَمَنْ يَكُنْ فَرَّطَ فِي شَبَابِهِ حَتَّى مَضَى عَجِبْتُ مِن تَبَابِهِ
وَمَنْ يَقُلْ: إِنِّي صَغِيْرٌ أَصْبِرُ حَتَّى أَخَافَ اللّهَ حِينَ أَكْبُرَ
فَإِنَّ ذَاكَ غَـرَّهُ إِبْـلِـيـسُ وَقَـلْـبُـهُ مُغَفَّلٌ مَـطْـمُـوسُ
لا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَتُبْ صَغِيرا وَلَـمْ يَـكُـنْ بِـعَـيْـبِـهِ بَصِـيرَا
مُـجَـانِـبًـا لِـلإِثْـمِ وَالْعُدْوَانِ مُسْتَعْصِمًا بِالذِّكْرِ مِنْ نِسْيَانِ
وَيَـا سَـعَـادَةَ امْـرِئٍ قَضَـاهُ فِي عَمَلٍ يَرضَى بِهِ مَولاهُ
أَحَبَّ رَبِّي طَاعَةَ الشَّبَابِ يَا فَوزَهُمْ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
فَتُبْ إِلَى مَولاكَ يَا إِنْسَانُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفُوتَكَ الأَوَانُ
مُرَاقِبًا للّهِ فِي الشُّؤونِ مُحَاذِرًا مِنْ سَائِرِ الفُتُونِ
مُجَانِبًا رَذَائِلَ الأَخْلاقِ مُجَافِيًا كُلاًّ عَدَا الخَلاقِ
مُحَارِبًا لِنَزْعَةِ الضَّلالِ وَصَوْلَةِ الأَهْوَاءِ وَسُوءِ الحَالِ
فَإِنْ أَرَدْتَ الفَوْزَ بِالنَّجَاةِ فَاسْلُكْ سَبِيلَ الحَقِّ وَالهُدَاةِ
يَا مَنْ يَرُومُ الفَوزَ فِي الجَنَّاتِ بِالمُشْتَهَى وَسَائِرِ اللَّذَاتِ
انْهَضْ إِلَى السَّجْدَاتِ فِي الأَسْحَارِ وَاحْرِصْ عَلَى الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ
وَاحْذَرْ رِيَاءَ النَّاسِ فِي الطَّاعَاتِ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ وَالأَوْقَاتِ
وَاخْتَرْ مِنَ الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ إِنَّ القَرِينَ بِالقَرِينِ يَقْتَدِي

وَصُحْبَةُ الأَشْرَارِ دَاءٌ وَعَمَى   تَزِيدُ في القَلْبِ السَّقِيمِ السَّقَمَا
فَإنْ تَبِعْتَ سُنَّةَ النَّبي   فَاحْذَرْ قَرِينَ السُّوءِ والدَّني
وَاخْتَرْ مِنَ الزَّوْجَاتِ ذَاتَ الدِّينِ   وَكُنْ شُجَاعًا في حِمَى الْعَرِينِ
وَزَوِّد الأَوْلَادَ بِالآدَابِ   تَحْفَظْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَوْصَابِ
وَهَذِّبِ النُّفُوسَ بِالقُرآنِ   وَلا تَدَعْهَا نُهْبَةَ الشَّيْطَانِ
وَاحْرِصْ عَلَى مَا سَنَّهُ الرَّسُولُ   فَهْوَ الهُدَى وَالحَقُّ إِذْ يَقُولُ
دَعْ عَنْكَ مَا يَقُولُهُ الضُّلَّالُ   فَفِيهِ كُلُّ الخُسْرِ وَالوَبَالُ
وَأَصْدَقُ الحَدِيثِ قَولُ رَبِّنَا   وَخَيْرُ هَدْيِ اللهِ عَن نَبِيِّنَا
يَا أَيُّهَا الغَفْلانُ عَن مَوْلاهُ   انْظُرْ بِأَيِّ سَيِّئٍ تَلْقَاهُ
أَمَا عَلِمْتَ المَوتَ يَأْتِي مُسْرِعًا   وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى
وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ مِن بَعْدِ الأَجَلْ   إِلا الَّذِي قَدَّمَهُ مِنَ العَمَلْ
فَبَادِرِ التَّوبَةَ فِي إِمْكَانِهَا   مِن قَبْلِ أَنْ تُصَدَّ عَنْ إِتْيَانِهَا
يَا أَيُّهَا المَغْرُورُ مَا هَذَا العَمَلْ   إِلى مَتَى هَذَا التَّرَاخِي وَالكَسَلْ
لَوْ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ قَدْرَ مَوْتِهِ   مَا ذَاقَ طُولَ الدَّهْرِ طَعْمَ قُوتِهِ
مَالِي أَرَاكَ لَمْ تُفِدْ فِيكَ العِبَرْ   وَيْحَكَ هَذَا القَلْبُ أَقْسَى مِن حَجَرْ
وَأَفْلَسُ النَّاسِ طَوِيلُ الأَمَلِ   مُضَيِّعُ العُمْرِ كَثِيرُ الخَطَلِ
نَهَارُهُ مُمْضِيهِ فِي البَطَالَهْ   وَلَيْلُهُ فِي النَّوْمِ بِئْسَ الحَالَهْ
ادْعُ لَنَا يَا سَامِعًا وَصِيَّتِي   بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ مَعَ الْعَطِيَّةِ
وَلا تُؤَاخِذْنَا عَلَى النِّسْيَانِ   وَلا عَلَى الأَخْطَاءِ وَلا الْعِصْيَانِ
يَا رَبِّ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفَتَّانِ   وَلا تُذِقْنَا حُرْقَةَ النِّيرَانِ
يَا رَبِّ وَانْصُرْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ   وَاحْمِ الْحِمَى مِنْ هَيشَةِ الْغَوْغَائي
وَدِينَكَ احْفَظْهُ مَعَ الأَمَانِ   لِلأَهْلِ فِي الأَقْطَارِ وَالأَوْطَانِ
وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى الْخِتَامِ   وَالشُّكْرُ للهِ عَلَى الإِنْعَامِ
مَا أَعْظَمَ الإِنْعَامَ مِنْ مَوْلانَا   وَأَجْزَلَ الإِفْضَالُ إِذْ هَدَانَا
لِنِعْمَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ   وَالاقْتِدَاءِ بِسَيِّدِ الأَنَامِ

ثُـمَّ صَــلاةُ اللّهِ وَالسَّــلامُ　　مَـا نَـاحَ طَـيْـرُ الأيْكِ وَالْـحَـمَامِ
عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ　　الْـهَاشِـمِي الْـمُجْتَبي النَّـذِيـرِ
وَآلِـهِ مَـا انْـبَـلَـجَ الصَّــبَاحُ　　وصَــحْـبِـهِ مَـا هَـبَّـتِ الـرِّيَـاحُ

تمت

توطئة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه سلسة من الدروس المفرغة لقصيدة وصية الشبان للإمام أبي زيد عبدالرحمن الأخضري البسكري – رحمه الله- كنت قد ألقيتها في مسجد الفتح المبين – بمدينة سكيكدة – ثم قامت احدى الطالبات المجتهدات بتفريغها وضبطها وتخريج أحاديثها، وقمت بمراجعة هذا التفريغ، و ضبطه للنشر عسى أن ينفع به إخواني طلبة العلم وأئمة المساجد، والمرشدات، فيعتنوا بتدريس هذه المنظومة للناس في المساجد والمحاضن التربوية، إسهاما منهم في تزكية النفوس وترقيق القلوب، وإحياء لتراث علم من أعلام بلدنا.

هذا وأسال الله أن ينفع الكاتب والمفرغ والقارئ لهذه الرسالة ، وأن يجعل عملنا جميعا ، خالصا لوجه الله الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه، ومن اتَّبعهم واقتفى أثرهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد -فيا أيُّها الحضور الكريم-؛ هذه دروسٌ في شرح قصيدةٍ من رجز القصائد لإمامٍ علمٍ جزائريٍّ له منظومات رائقة في العلوم، فوقع الاختيارُ على وصيَّة الشَّباب التي نضمها الإمام العلَّامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمَّد الصغير الأخضري البسكري الجزائري -رحمة الله عليه- صاحب الكتاب المعروف في الفقه، والذي درسناه سابقًا وختمناه -بحمد الله تعالى- وهو كتاب (مختصر الأخضري في فقه العبادات).

قصيدة (وصيَّة الشبَّان) من تأليف الإمام أبي زيد عبد الرحمن الأخضري -رحمة الله عليه- إنَّما وقع الاختيار على هذه القصيدة لمناسبتها لما نحن بصدده، ولما نحن نعايشه من تسيُّب بعض الشباب، ومن عادة النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكثر من الوصايا للشباب خاصَّة؛ لأنَّهم عدَّة الأمَّة، وهي في الحقيقة وصايا لجميع النَّاس، لكنَّها تخصُّ وتعني أكثر الشَّباب ومن هو في حكمهم.

نبذة من سيرة الشَّيخ عبد الرحمن الأخضري -رحمة الله عليه-:

❁ اسمه ومولده:

هو الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمَّد الصَّغير بن محمَّد بن عامر، الشهير بالأخضري البسكري الجزائري المالكي، هو من أعلام علمائنا -عليهم رحمة الله- في القرن العاشر الهجري، ولد في قرية من قرى بسكرة سنة عشرين وتسعمائة للهجرة.

❁ نشأته العلمية:

نشأ في بيت علمٍ، وطلب العلم على والده وأخيه، وجدَّ فيه تحصيل العلم في بلده، ثمَّ رحل إلى قسنطينة وأخذ عن علمائها، ثمَّ رحل كذلك إلى تونس وأخذ عن العلماء، وهكذا لا زال يأخذ عن العلماء هنا وهناك حتى حصَّل علمًا نافعًا، وقد خلَّد الله ذكره وبارك الله في مصنَّفاته، فهي مشهورةٌ متداولةٌ يشرحها العلماء.

❁ من أهمِّ شيوخه:

والده محمَّد الصَّغير، وأخوه أحمد بن محمَّد الصَّغير، وعبد الرحمن بن القُرون.

❁ مكانته العلميَّة:

كان عالمًا مبجلًا مجدِّدًا صاحب زهدٍ وورعٍ، وهذه سمةٌ في جميع مصنَّفاته، إذا صنَّف في الفقه أو صنَّف في أيِّ علمٍ من العلوم إلَّا ويربطه بتقوى الله والخشية والنُّسك والتَّعبد، وهذا هو عهد العلماء السَّابقين، يربطون بين العلم والتَّزكية، وبين التَّأصيل العلمي والتَّعبد لله -سبحانه وتعالى-، فإنَّ الغاية من طلب العلم هو الخضوع والخشوع لله ربِّ العالمين، غاية ما يسعى إليه العلماء وطلبة العلم أن يعبدوا الله -سبحانه وتعالى- على حقٍّ وعلى معرفةٍ وعلى هدىً من الله سبحانه.

ممَّا تميّز به الشيخ عبد الرحمن الأخضري -رحمة الله عليه- نزعته التَّجديدية، ومحاربته للبدع والخرافات خاصة التي ظهرت في عصره كبدع العاكفين على القبور والذين يتمايلون عند الذِّكر وعند التَّعبد وما اخترعه بعض الطُّرقية، كان محاربًا لهذه البدع والخرافات، وهذا دليل صدقه وتجديده، فمن شعره أنَّه كان يقول:[1]

والرَّقصُ والصُّراخُ والتَّصفيــــقُ	عمدًا بذكر الله لا يليــــــــقُ
وإنَّما المطــوبُ في الأذكـــــارِ	الذِّكـرُ بـالخشـــوع و الـوقـار

وقال:[2]

و الـفـرقُ بـين الإفـك والصَّـــوابِ	يعرف بالسنَّة و الكتـــــــــاب
الشَّرع ميــزانُ الأمــــــــور كلِّها	وشـــــــاهدٌ لفرعهــــا وأصلها

هذا نموذجٌ فقط من بعض ما تكلَّم به -رحمة الله عليه-، وهذا يدلُّنا على أنَّ الرَّجل كان محكِّما للكتاب والسُّنَّة فيما بلغه وفيما أدَّاه إليه اجتهاده، وأنَّ النَّاس قديمًا كانوا ينصرون الشريعة لله -سبحانه وتعالى-، وكانوا ينبذون التَّقليد الذي أهلك بعض النَّاس، وهو تقليدُ الأوَّلين وإن كانوا على خطأ أو كانوا على شيءٍ من الضَّلال.

---

[1] إصلاح المساجد من البدع والعوائد، جمال الدين القاسمي، ص١٠٩.

[2] المصدر نفسه، ص١١٠.

التَّعريف بقصيدة وصيَّة الشُّبَّان:

❀ اسمِها:

هذه القصيدة تسمَّى وصيَّة الشُّبَّان، وتسمى كذلك تحفة الشبَّان، فالوصية: هي النَّصيحة المختصرة التي تقال قبل المغادرة، والشُّبان: جمع شابٍّ، يقالّ شبَّ يشبُّ فهو شابٌ، والجمع شبابٌ وشبَّان.

❀ أبياتها:

هذه قصيدة التي نحن بصدد شرحها -معشر المسلمين- رائقة ومختصرة جاءت في خمسين بيتًا من بحر الرَّجَز.

❀ نسبتها:

وهي للإمام الأخضري الذي عُرف بجزالة نظمه؛ عنده منظومات أخرى معروفة ومتداولة جدًا كـ: (السُّلم المرونق في علم المنطق)، كذلك كتاب: (الجوهر المكنون في ثلاثة الفنون) وغيرها من الكتب التي سنأتي عليها -بإذن الله تعالى-.

❀ مضمونها:

مضمون هذه القصيدة -أيُّها الأكارم- هي وصايا للشَّباب في تزكية النَّفس والإقبال على العمل، وما أحوجنا معشر المسلمين في هذا العصر إلى أن نزكي أنفسنا وأن نقبل على العبادة؛ لأنَّ في ذلك الرَّاحة، ولأنَّ في تزكية النَّفس فلاحُ الدُّنيا والآخرة، فقد أقسم الله تعالى احدى عشر قسمًا أنَّه قد أفلح من زكَّى نفسه.

❁ سبب نظمها:

سبب نظم هذه القصيدة -معشر المسلمين-؛ أنَّ الشَّباب مظنَّة الغفلة عن تزكية النَّفس، والشباب مقرونٌ بالعنفوان، مقرونٌ بإتباع الشهوات، فلذلك أمر ونصح الإمام عبد الرحمن الأخضري بتزكية النَّفس والإقبال على العبادة، وحذَّر أشَدَّ ما يكون التَّحذير من تضييع العمر ومن تضييع أوقات القوَّة في غير طاعة ربِّ العالمين.

فنظمها -رحمة الله عليه- نصيحةً للشَّباب، وهي تليق للشَّباب ولغيرهم كذلك، لكنَّ الشَّباب هم المخاطبون؛ لأنَّ معهم القوَّة ومعهم الفتوَّة، ولأنَّ من تعرَّف على الله -سبحانه وتعالى- في الرَّخاء تعرَّف عليه في الشِّدَّة، وإنَّ من أعظم الرَّخاء أن يكون الإنسان موفور الصِّحة موفور المال موفور الوقت، فيتعرَّف الله -عزَّ وجلَّ- عليه، كذلك إذا كبر ومرض وعجز.

الوصايا -أيُّها المؤمنون- فنٌ جميلٌ يعتني به العلماء عملًا بقول النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»؛[٣] فعملًا بهذا الحديث النَّاظم نظم هذه القصيدة بقصد نصح عامَّة المسلمين.

والوصايا معشر المسلمين مهمَّة جدًا، وهي ما يورِّثه الأجيال إلى الأجيال التي تأتي من بعدهم، والوصايا هي ما يورِّثه الكبار للصغار، الوصايا هي ما يورِّثه المجرِّبون للحدثاء من النَّاس؛ لأنَّ هذه الدُّنيا قصةٌ واحدة تعاد وتكرَّر، فالسَّعيد من وعظ بغيره، والسَّعيد من أخذ بمواعظ النَّاس الذين مضوا قبله، فإنَّهم عايشوا وجرَّبوا هذه الدُّنيا وأعطوك الخلاصة.

[٣] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة أنَّ الدِّين النَّصيحة، ٩٥، (١/ ٧٤).

إذًا بعد هذه التَّقدمة -معشر المسلمين-؛ لنفكِّك هذه القصيدة ونحاول الوصول إلى الأهداف والمرامي والأغراض التي أرادها النَّاظم، ولنذكِّر أنفسنا وغيرنا بوجوب الاستفاقة من هذه الغفلة، ووجوب استغلال العمر في طاعة ربِّ العالمين، واستغلال مرحلة الشَّباب فيما يعود علينا بالنَّفع في ديننا ودنيانا.

❋❋❋❋

❁ يقول الإمام الأخضري -رحمة الله عليه- في بيت الأول:

أُوْصِيكُم مَعَاشِرَ الشبَّـــــــان   عَلَيْكُم بِطــاعَةِ الدّيّـــانِ

(أُوْصِيْكُمُ)؛ أي: أوصيكم يا جماعة الشَّباب وصيةً جامعة، عليكم بطاعة الله مالك يوم الدِّين الذي يحاسبكم ويجازيكم، والوصيَّة -كما سبق معنا- هي النَّصيحة المختصرة التي تقال قبل المغادرة، أنا أوصي لأنَّني مغادر، والكبير يوصي لأنَّه مقبلٌ على الآخرة وهكذا.

والعادة في هذه الوصايا أن تكون مختصرة، وأن يُقتصر فيها على الأهمِّ، وأن تلخَّص فيها التَّجارب، لذلك كان النَّبي -صلى الله عليه وسلم- يوصي أصحابه وكان الصَّحابة يأتون إلى النَّبي -صلى الله عليه وسلم- يقولون يا رسول أوصنا فيوصيهم -عليه الصلاة والسلام-، فالوصيَّة سنَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ، إذًا هذا أصلٌ في القرآن الكريم، وأصلٌ في سنَّة النَّبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

(أُوْصِيْكُمُ معاشر الشُبَّان)؛ المعاشر، جمع معشر وهم الجماعة من النَّاس، والشُّبَّان هو جمع شابٍ وهذا قد مرَّ معنا.

(عَلَيْكُمُ)؛ هنا زيدت الواو مراعاةً للضَّرورة الشِّعرية، وعليكم: فعل أمرٍ بمعنى اِلزموا.

و(الدّيّانِ)؛المحاسب المجازي، فمن أسماء الله تعالى الدَّيان، وهي مشتقة من مُلك يوم الدِّين، وهو يوم المحاسبة، فالدَّيان هنا ليس له علاقة بالدَّين الذي هو السُلْفة،

(عَلَيْكُمُ بِطَاعَةِ الدّيّانِ)؛ أي: عليكم بطاعة الله -عزَّ وجل- الذي من أسمائه الدَّيان، أي: المحاسب، المجازي للنَّاس على أفعالهم.

والمقصود -أيها الأكارم-: أنَّ الشَّيخ عبد الرَّحمن يوصي الشَّباب خاصةً بطاعة الحسيب الرَّقيب، مالك يوم الدِّين، وهو الله ربُّ العالمين.

وهذه الطَّاعة -أيها المؤمنون- هي من صميم التَّقوى، تقوى الله -عزَّ وجل- لها أركان وأقسام، فمن أقسامها طاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، فطاعة ربِّ العالمين هي جزءٌ بل هي الرُّكن الأساس للتَّقوى التي هي سبب دخول الجنَّة، فقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] ؛ طاعة الله -عزَّ وجل- هي السَّبب الوثيق لدخول الجنَّة، فمن لم يخضع لله ولشرع الله فلا يطمع في جنَّة الله، ومن عارض الله تعالى ومن شاقَّ الله ورسوله فلا يطمع في دخول الجنَّة، خُلِقْنا لطاعة ربِّ العالمين، وهي وصيَّة الله للأوَّلين والآخرين، وطاعة الله تعالى فرضٌ الواجبٌ على الشَّباب والشِّيب، لا فرق في ذلك بين عُمُرٍ وآخر، لكنَّ الشَّباب هم أولى بطاعة ربِّ العالمين؛ لأنَّ داعي الشَّر عند الشَّباب أكثر وأكبر من داعي الشَّر عند الشيب؛ لأنَّ الشاب عنده عنفوان، عنده قوَّة، وداعي الشَّهوة عنده قويٌّ جدًا، فليحذر الشَّباب فإنَّ الله تعالى عليه رقيبٌ.

ويجب عليه أن يحارب هذه الشُّبهات والشَّهوات بالزِّيادة في التَّعبد حتى لا يقع في الكبائر، فإن عامَّة من يقع في الكبائر هم الشَّباب، يستسلمون لشهواتهم بسبب اِغترارهم بصحَّتهم وقوَّتهم وصغر سنِّهم، أمَّا الكبير في العادة يرى القبر أمام عينيه، وقد شَبِعَ من هذه الدُّنيا، ويعرف مبتدأها ومنتهاها، لذلك تجده يقلُّ من المعاصي ويكثر من الطَّاعات؛ لأنَّه يرى الآخرة رأي العين، بينما الشَّاب يقول لك: مازلت صغيرًا وأتمتَّع بشبابي وأعيش حياتي وأفعل كذا وكذا، ثمَّ يقع في الكبائر -والعياذ بالله-.

اِعلموا -معشر المسلمين- أنَّ الثَّوب الذي قطع أو أصيب ثمَّ خِيط لا يكون أبدًا مثل الثَّوب السَّليم الذي لم يقطع أصلًا، فإياك يا عبد الله أن تغشى الكبائر، لا تغترَّ بشبابك فالشباب يزول، لا تغترَّ بصغر سنِّك لعلَّك تموت صغيرًا ولن تبلغ مبلغ الكبار، وكم من صغيرٍ مات وكان يُؤَمَّن حياته، وكم من كبيرٍ عجوزٍ عاش سنواتٍ طوال يعبد الله -سبحانه وتعالى- لذلك أوصانا النَّاظم هنا -خاصَّة الشَّباب- بطاعة الله -سبحانه وتعالى-.

وفي ربطه بطاعة الله تعالى باسم الدَّيان إشارةٌ إلى هؤلاء الشَّباب، يا معشر الشَّباب إيَّاكم أن تعصوا الدَّيان الذي يحاسبكم ويجازيكم يوم القيامة، وهذا في أنَّ جميع أعمال الشَّباب تقع تحت طائلة المحاسبة والمجازات، فليحذروا ولا يغترُّوا بقوَّتهم ولا سلامة أجسادهم.

إذا خلوت يومًا من الدَّهر فلا تقل خلوت، ولكن قل عليَّ رقيبٌ، هذا هو المبدأ الذي لا بدَّ أن يعيش به شبابنا والذي عاش به شباب الصَّحابة -رضي الله عنهم-.

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

إِيّاكُمُ أَنْ تُهمِلُوا أَوْقَاتَكُم فَتَنْدَمُوا يومًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ

أي: احذروا أن تفرِّطوا في أوقاتكم وأعماركم، فيقع منكم النَّدم والحسرة يوم القيامة على ما فاتكم من أوقاتٍ لم تستغل.

فقوله: (إِيَّاكُمُ) هو اسم فعل أمرٍ، بمعنى: احذروا، وقوله: (أَنْ تُهْمِلُوا)؛ الإهمال هو التَّضييع، وقوله: (يَومًا)؛ يقصد به يوم القيامة.

والمقصود: أنَّ المؤلف يحذِّر الشَّباب من تضيِّيع أوقاتهم سدًا في غير عمل يعود عليهم بالنَّفع في الدُّنيا أو الآخرة، وذلك أنَّ الشَّباب في العادة يتساهلون في تضييع الأوقات، تسكُّعٌ في الشَّوارِع، وخروج في السَّفريات والنُّزهات وغيرها من الأمور، وهو وقت القوَّة والعنفوان، وقد قيل قديمًا:[٤]

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ   وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْك يَضِيعُ

فإنَّ من أعظم الآفات التِّي يقع فيها شبابنا اليوم تضييع الأوقات في أشياء لا طائلة من ورائها، خاصَّةً في عصرنا هذا، ستحاسبون معشر الشَّباب على هذا الأوقات، ستحاسبون عند الله تعالى عليها؛ لأن هذه القوَّة يجب أن تستغلَّ في الطَّاعة، وأمَّا إذا استغلها الإنسان في غير طاعة الله -عزَّ وجل- فقد فرَّط في النِّعمة ولم يشكرها، وإنَّ من شكر النِّعم أن يستغلَّها العبد في طاعة الله ربِّ العالمين.

حثَّنا القرآن الكريم على اغتنام الأوقات فقال الله تعالى للكفَّار حين ندموا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] ، ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ﴾؛ أولم يمدَّ الله في أعمارنا في الدُّنيا، ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾؛ يعني: مدَّة طويلة المفروض يتذكَّر فيها النَّاس، ﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾؛ أي: وعشتم هذه المراحل حتَّى جاءكم النَّذير.

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ؛ هذا العمر الذي هو في الحقيقة ليلٌ ونهار، جعله الله تعالى ﴿ خِلْفَةً ﴾؛ أي: ظرفًا، ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ ﴾؛ لأعبارنا، ﴿ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾؛ أو أن يشكر هذه النِّعمة التي أنعم الله بها على عباده.

وقال الله تعالى عن أصحاب النَّدامة: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

[٤] الآداب الشَّرعية والمنح المرعي، لشمس الدِّين ابن مفلح: (٢٤٦ /٢).

السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٥-٥٦] ؛ الشَّاهد من الآية قول هؤلاء ﴿ يَاحَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾، وهذا الذي نخشاه على أنفسنا أن نفرّط في الأوقات، وأن لا نجتهد في طاعة ربِّ البريات.

وفي الحديث: -أيُّها المؤمنون- وهو حديث عبد الله بن مسعود: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ -وهنا موطن الشَّاهد-، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ».[٥]

خمسة أسئلة يجب أن نعدَّ لها جوابًا؛ لأنَّنا سنسأل عنها بين يدي ربِّنا يوم القيامة، عمرك كلُّه من الولادة إلى الوفاة فيما أفنيته، هل أفنيته في طلب الدُّنيا والدِّرهم والدِّينار؟ فقد تَعِسَ عبد الدِّرهم و تعس عبد الدِّينار.

شبابك فيما أبليته؟ ومعنى أبليته: ضيَّعته، مرحلة الشَّباب فيم ضيَّعتها؟ ضيَّعتها بسماع الأغاني والسَّفر واللَّهو والمجون وغيرها؟ ستُسأل عن الشَّباب؛ لأنَّ الشَّباب نعمة، والنِّعم سنسأل عنها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] ، وإنّ من أعظم النّعيم هذه القوّة وَالفتوّة وَهَذَا الشَّباب، فاستغلوا هذه القُوة -معشر المسلمين- في طاعة ربِّ العالمين، في قرآءة القرآن وختمه، في الإكثار من ذكر الله -عزَّ وجل-، في الصَّلاة والأعمال الخيرية، وتنظيف المساجد، وإطعام الفقار والمساكين، والسَّعي في حوائج الضعفاء.

أنتم في مرحلة القُوة، -مرحلة الشَّباب مرحلة مهمَّة- مرحلة البناء، والأمة الإسلامية تبنى بالشَّباب، قال الله -عزَّ وجل- في أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]؛ هؤلاء الذين رفضوا الشِّرك وقاموا بالدَّعوة للتَّوحيد فتية، من نصر النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فتية الصَّحابة؛ عندك: عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، كانوا شباب الصَّحابة، معاذٌ ومعوِّذ اللذان قتلا

---

[٥] أخرجه الترمذي، في الجامع، أبواب صفة القيامة والرَّقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب في القيامة، ٢٤١٦، (٤/ ٦١٢).

أبا جهل، وغيرهم من شباب الصَّحابة الذين أقاموا دعوة الإسلام، لذلك سنسأل عن شبابنا -معشر المسلمين-، وفي هذه الوصيَّة تنبيهٌ للشَّباب على قضيَّة حفظ الوقت والعمر وأنَّه كنزٌ يفرَّط فيه الغافلون.

وهذه حقيقة، واسألوا كبار السِّن؛ سيقولون لكم: اغتنموا ما أنتم ممَّكنين فيه، وما تستطيعون فعله؛ لأنَّها ستأتي عليكم أيامٌ وأزمانٌ لا تستطيعون فيها بعض الطَّاعات ، سيأتي يوم لا تستطيع أن تصوم أربع ساعات متواصلة، ما يدري الإنسان!! يجب أن لا نضيع العمر، والعمر يمضي -معشر المسلمين-، نحن في آخر الزَّمان، وآخر الزَّمان يتقارب فيه الزَّمان فيصبح الشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم والسَّنة كالشهر وغيرها، وهكذا الزَّمان يستعجل نفسه، فخذوا حظَّكم من هذه الحياة الدُّنيا قبل أن يقال: فلان كان هنا وقد مات، وما نحن إلا جنائز مؤجلة، فاغتنموا أوقاتكم معشر الشَّباب.

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمة الله عليه-:

فإِنّمَــا غَنِيْــــمَةُ الإنْسَــــانِ   شَبَـــابُهُ وَالخُسْرُ فــي التّوَانِي

(فإِنّمَــا غَنِيْــــمَةُ الإِنْسَــانِ شَبَــــابُهُ)؛ أي: وإنَّما الغنيمة الحقيقيَّة للإنسان هي اغتنامه لشبابه في التَّقرب إلى الله، والخسارة الحقيقيَّة هي الانقطاع عن العمل، الغنيمة: هي ما يحصل في الحرب، والمقصود بالغنيمة هي الشيء الذي يكسبه الإنسان.

(وَالخُسْرُ فِـي التَّوَانِي)؛ يعني والخسارة في التَّواني، والتَّواني: هو الفتور والانقطاع عن العمل، فأعظم خسارةٍ هي أن ينقطع الإنسان عن العمل الصَّالح بعد أن اِعتاده، وعاهد الله تعالى عليه.

والمقصود: أنَّ النَّاظم يوضِّح لنا الميزان الحقيقي للرِّبح والخسارة، فمن اغتنم شبابه في طاعة الله ربِّ العالمين فهو الرَّابح، ومن ضيَّع وتوانى وانقطع عن العمل فهو الخاسر، وهذا الذي يقع فيه بعض الشَّباب اليوم؛ يستقيم على الصَّلاة ثمَّ يضيِّع، يستقيم على حفظ القرآن ثمَّ يضيِّع، لا يا عبد الله، لا تتوانى لا

تنقطع، فإنَّ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»،[٦] هكذا قالت عائشة -رضي الله عنها-، «وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ»؛[٧] أي: جعلوه على الدَّوام، فقليلٌ تداوم عليه أفضل من كثيرٍ تضيّعه بين المرَّة والأخرى، فالإنسان يلتزم أشياء ويمشي بها حتى يلقى الله -سبحانه وتعالى- ولا ينقطع عنها.

وقد حثَّ القرآن على حفظ العمر وبيَّن الخسارة الحقيقيَّة ؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٥] ؛ الخسارة الحقيقيَّة أن تخسر عمرك فلا تغتمه فيما يقرِّبك إلى الله -سبحانه وتعالى-، لذلك جاء في الخبر عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».[٨]

هذه خمسة أشياءٍ أولها الشَّباب قبل الهرم، قال: «شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ»؛ لأنَّ الإنسان في مرحلة الشَّباب يستطيع أن يفعل ما لا يستطيع أن يفعله في مرحلة الهرم والشيب، وبعض النَّاس لا يستطيع أن يحجَّ ولا يستطيع أن يعتمر ولا يستطيع أن يجاهد في سبيل الله، أقعده المرض والكبر والهرم، أين كنت لما كنت شابًا معافى؟

«وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»؛ الصِّحة لا تدوم -معشر الشَّباب-، لذا لا بدَّ أن نجتهد في طاعة ربِّ العالمين.

«وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»؛ يعني: ما دمت متمكِّنا فتصدَّق وانفق في وجوه الخير قبل أن تصاب بفاقة.

---

[٦] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصوم، باب هل يخصُّ شيءً من الأيَّام، ١٩٨٧، (٣/ ٤٢).

[٧] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدَّائم من قيام اللَّيل وغيره، ٢١٥، (١/ ٥٤٠).

[٨] أخرجه الحاكم، في المستدرك، كتاب الأدب، كتاب الرِّقاق، ٧٨٤٦، (٤/ ٣٤١).

«وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ»؛ وقت الشَّباب خاصَّةً قبل الزَّواج مَظِنَّة للتفرُّغ، يستطيع الشَّباب يجلس في المسجد ساعات متواصلة ولا يبحث عنه أحد؛ لأنَّه ليس مسؤولًا عن عائلة، فهذه فرصة غدًا لن تتاح لك هذه الفرصة، تصبح عندك مسئوليات تجعلك لا تستطيع أن تؤدي ما كنت تؤديه من قبل.

«وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»؛ وحياتك قبل موتك، وهذه الحياة التي أعطيتها اغتنمها في طاعة ربِّ العالمين.

وصايا رائقة -معشر المسلمين- فيها تذكير لأنفسنا ولإخواننا أنَّه من استغلَّ النِّعمة سيوفَّق ومن ضيَّع نعمة الشَّباب سيندم ولات حين ندم.

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمه الله-:

مَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشُّبَّـــــــانِ　　　فَاسْعَوا لِذكرِ اللهِ يَا إِخْوانِـــي

أي: ما أحسن الطَّاعة والعمل بها للشَّباب، فليسع هؤلاء الشَّباب إلى ذكر الله تعالى، (يَا إِخْوانِـــي)؛ هذا فيه تلطف من المؤلف -رحمة الله عليه-.

(مَا أَحْسَنَ الطَّـــاعَةَ لِلشُّبَّـــانِ)؛ الطَّاعة -أيها المؤمنون- هي الخضوع والاستجابة، والطَّاعة إمَّا أن تكون مطلقة وإمَّا أن تكون مقيَّدة، فالطَّاعة المطلقة فهي لله ولرسوله حَصْرَةً، فهما اللَّذان يطاعان مطلقًا، أمَّا غيرهما فيطاعان بالتَّقييد، فطاعة العلماء وطاعة الوالدين مقيَّدة بطاعة الله، فإن أَمَرُوا بطاعة الله أطعناهم وإن أمروا بمعصية الله عصيناهم، ولا تكون الطَّاعة المطلقة إلَّا لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-

(فَاسْعَــوا لِذكرِ اللهِ يَا إِخْوانِـــــي)؛ ذكر الله تعالى -أيُّها المؤمنون- على قسمين، ذكرٌ بالقلب وذكرٌ باللِّسان، وأعظم الذِّكر هو ذكر القلب، وثمرته ذكر اللِّسان.

النَّوع الأول: ذكر القلب -أيُّها المؤمنون- هو أن يكون الله تعالى حاضرًا في قلب المؤمن، يستشعر المؤمن أنَّ الله -سبحانه وتعالى- معه يراقبه حسيبٌ عليه قريبٌ منه مطلَّع عليه، وهو مقام الإحسان الذي أخبر عنه النَّبي -عليه الصلاة والسلام- قال: وما الإحسان، قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».[9]

هذا هو المقام العظيم، أن تتذكر دائما أنَّ الله تعالى معك بعلمه، وإن كان فوق العرش بذاته فهو معك بعلمه، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ؛ فهذه المعيَّة، وهذا هو ذكر الله بالقلب، أن يكون قلبك مستحضرًا وجود الله واطِّلاع الله -عزَّ وجل- عليه.

النَّوع الثاني: ذكر اللِّسان؛ وهو أن يلهج الشَّاب بذكر الله تعالى، إذا رأيت الشَّاب من يحافظ على أذكار صباحه ومسائه، ويكثر من الاستغفار والذِّكر والتَّسبيح والتَّهليل والحوقلة، فاعلم أنَّه مُوَفقٌ، وأنَّ الله تعالى قد أراد به خيرًا، وذلك أنَّ الله تعالى أمرنا بذكره وشكره وحسن عبادته، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]

لم يأمر الله -عزَّ وجل- بالإكثار من شيءٍ كما أمر بالإكثار من ذكره تعالى؛ لأنَّ الشَّاب بحاجة إلى ذكر الله، فالشَّيطان يسهِّل له المعاصي، فيجب أن يتحصَّن من هذا الشَّيطان بكثرة الذِّكر، وأن يستعين على غلبة شيطانه بكثرة الذِّكر، أن يذكر الله تعالى صباحَ مساء.

قال الله تعالى -في الحديث القدسي-: «أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»؛[10] حيثما ذكرتَ الله كان معك ناصرًا مؤيدًا حافظًا، فاسعوا لذكر الله -معشر الشَّباب ومعشر المؤمنين أجمعين-

[9] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ٥٠، (١/١٩).

[10] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب التَّوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ} [القيامة: ١٦]، (٩/١٥٣).

فاسعوا لذكر الله فإنَّه حصنٌ حصين من الشَّيطان، وفي الحديث عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله، قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ».[11]

قديمًا كنَّا نعتقد أنَّ الذِّكر خاصٌّ بكبار السنِّ فقط؛ لأنَّ الصورة النَّمطية في ذلك العصر كبير السنِّ هو الذي يكثر من الذكر، وهذا خطأ، كلُّنا بحاجةٍ إلى الذِّكر، فهو قوت القلوب وسبب السَّعادة ودفع الضَّرر وجلب الخير والبركة، ولما قلَّ ذكرنا لله تعالى كثرت علينا المصائب والابتلاءات، فوطِّن نفسك أيُّها الشَّاب المسلم على كثرة ذكر الله تعالى، عليك بأذكار الصَّباح وأذكار المساء وأذكار الصَّلوات، هذه أذكار مقيَّدة، وهناك أذكار مطلقة، فأنت عبدٌ لله -عزَّ وجل- محتاجٌ له في كل حركاتك وسكناتك، محتاجٌ لذكره للنَّجاح والتَّوفيق في جميع مشاريعك، فاذكر الله تعالى في جميع أوقاتك، واجعل هذا الذِّكر هو وظيفتك في الدُّنيا.

الذِّكر -معشر المسلمين- دليلٌ على المحبَّة، كلُّنا يدَّعي محبَّة الله سبحانه، لكن من أحبَّ شيءً لهج بذكره، ومن علامات محبَّتك لله كثرة ذكرك له، إذا كان العبد يذكر الله تعالى كثيرًا يقومُ باسم الله ويجلسُ باسم الله، وكلامه ما شاء الله وتبارك الله، وعنده تسبيحٌ كثير واستغفارٌ كثير، اعلم أنَّه موفقٌ، إذا كان همُّه عمارة المساجد وحضور حلقات الذِّكر والقرآن وهذا من الذِّكر، جلوسكم في بيوت الله -عزَّ وجل- لسماع المواعظ الحسنة، والصلاة على النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، والترحُّم على العلماء وغيره، هذا كلُّه من الذِّكر.

وفي الحديث الطويل: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ

[11] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الدعاء والذِّكر والتَّوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٤، (٤/ ٢٠٦٢).

وَيَسْأَلُونَكَ،قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».[١٢]

❀ ثمَّ قال النَّاظم في البيت الخامس:

وَعْمِـــرُوا أَوْقَاتَكُمْ بِالطَّـــاعَه　　وَالذِّكْرِ كُـــلَّ لَحظَةٍ وسَــــاعَه

(وَعْمِــرُوا أَوْقَاتَكُمْ بالطَّــاعَه، وَالذِّكْر)؛ أي: واملؤوا أوقاتكم بطاعة الله وذكره، (كُــلَّ لَحَظَةٍ وسَـــاعَه). هذا تأكيدٌ لما سبق للوجوب ملء الشَّباب أوقاتهم بالطَّاعة، فأعظم خطرٍ على الشَّباب هو الفراغ القاتل، هذا الفراغ هو الذي أهلك الشَّباب، وقديما قيل: "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"،[١٣]هكذا نفس الإنسان إمَّا أن تشغلها بالحق والذِّكر وقراءة القرآن، وإلَّا تشغلك بالوساوس والشَّهوات والشُّبهات، فاسعوا وعمِّروا أوقاتكم بطاعة الله -عزَّ وجل-، وقد جاء في الحديث عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»،[١٤]

وهذا فيه كذلك إشارة إلى الشَّباب؛ لأنَّهم هم أصحاب الصِّحة وهم أصحاب الفراغ، فالكبار في العادة عندهم مسؤوليات والتزامات، بينما الشَّاب عنده الوقت، فلا بدَّ أن يصرف ذلك الوقت في طاعة الرَّحمن،

[١٢] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الدعاء والذِّكر والتَّوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذِّكر، ٢٥، (٤/ ٢٠٦٩).
[١٣] مجموع الفتاوى، لابن تيميَّة: (٨/ ٢٢٣).
[١٤] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب لا تعش إلَّا عيش الآخرة، ٦٤١٢، (٨/ ٨٨).

في حلقات القرآن والذِّكر والعلم وغيرها، والله يا إخواننا هذا الذي سينفعكم يوم القيامة، وكلُّ ما كنتم تظنُّون أنَّ فيه منفعة وتحرِقُون أعماركم من أجله سيعود وبالًا في الأخير.

وللإمام أبي الوليد الباجي -رحمة الله- صاحب (المنتقى) بيتٌ مشهور يقول فيه:[١٥]

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ

فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ

إذا كانت عمارنا في النِّهاية كساعة؛ لأن النَّاس يوم القيامة يظنون أنَّهم لبثوا عشيةً أو ضحاها، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] ، وبعضهم يقول: يومًا أو بعض يوم، والله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤] ، هذا القليل وهذه السَّاعة لماذا لا نجعلها في طاعة!!

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ بدايات الشَّباب مهمَّة جدًّا، أيُّها الشَّباب بداياتكم هي عنوان نهاياتكم، كما قد قيل: (من كانت بداياته محرقة كانت نهاياته مشرقة)، أي: أنَّ العبد إذا كان في شبابه يصارع نفسه، وهذه المصارعة تحرقه لما فيها من شدَّةٍ، يصارِع نفسه مع الشَّهوات، مع النَّظر المحرم، مع الالتزام بالطَّاعة، سينتهي به الأمر إلى المشارق إلى الفرحة الدائمة -بإذن الله تعالى-.

كان أبو إسحاق السَّبيعي يقول: "يا معشر الشَّباب اغتنموا، قلَّ ما تمر بي ليلة إلَّا وأقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحرم وثلاثة أيام من كل شهر والإثنين والخميس، ثمَّ تلا: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] "،[١٦]

أبو إسحاق السبيعي -رحمة الله عليه- من أتباع التَّابعين، هذه أعمالهم.

---

[١٥] قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان، للفتح بن خاقان، ص ١٨٨.

[١٦] تاريخ دمشق، لابن عساكر: (٤٦/ ٢٢٧).

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمة الله عليه-:

فمَنْ تَفُتْهُ لحـــــظة مـــن عُمْرِهِ تَكُنْ عَليهِ حَسْـــــــــرَةٌ فِي قَبـــرِهِ

أي: ومن ضيَّع وفاتته ساعةٌ من عمره أو أكثر أو أقل، سيندم عليها ويتحسَر حين يوضع في قبره، حين تتَّضح الحقائق وتتبيَّن الموازين، هذا فيه تحذيرٌ من تضيِّيع الأوقات سدى؛ لأن هذه الدَّقائق محسوبة، يندم عليها الإنسان.

وفي الآثار عن الحسن البصري: "يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضُك"،[١٧] فيجب على العبد أن يعرف قدر وقته وزمانه ولا يضيعه، والله سنندم معشر المسلمين، مهما اجتهدنا ومهما صنعنا سنندم أنَّنا لم نزدد في الاجتهاد.

هذه الأوقات التي تنفقها هدرًا، غيرك يريد أن يشتريها بالأموال، يحكي عن جمال الدِّين القاسمي -وكان من علماء الشَّام- أنه كان يمرُّ على شوارع دمشق وينظر النَّاس في المقاهي يتكلمون ساعة وساعتين وثلاثة فيتعجب، هو عالمٌ يسعى في الكتابة والدَّعوة، يقول: "لو كان الوقت يشترى بالمال لشتريت من هؤلاء أوقاتهم" يتعجَّب؛ لأنَّ ما عنده من المشاريع يفوق ما عنده من الوقت، هذا فيه تحذيرٌ من تضييع الأوقات للشَّباب.

وفيه كذلك إشارةٌ إلى أنَّ الطَّاعة والعمل الصَّالح هو الذي يؤنس الرَّجل في قبره، كما قال النَّاظم هنا: (تكُنْ عَلَيهِ حَسْـــرَةٌ فِي قَبـــرِهِ)؛ ذلك أنَّ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا في حديث جابر -رضي الله عنه- أن الشيء الذي يؤنِّس الإنسان في قبره هو عمله الصَّالح، قال -صلَّى الله عليه وسلم-:

[١٧] سير أعلام النُّبلاء، للذَّهبي: (٤/ ٥٨٥).

«يَمْثُلُ لَهُ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ وَجْهٌ يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ».[18]

فتذكَّر جيِّدًا أيُّها الشَّاب هذا الأنيس الذي يؤنسك في قبرك، ولن يؤنسك أحدٌ من أصحابك ولا من أقربائك ولا من أحبابك، الذي يؤنيسك هو عملك الصَّالح.

❁ ثمَّ قال في البيت السَّابع:

وَمَنْ يَكُنْ فَرّطَ فِــــــي شَبَــابِهِ حَتّى مَضَى عَجِبْتُ مِــــن تَبَـــابِهِ

(وَمَنْ يَكُنْ فَرّطَ فِـي شَبَـابِهِ حَتّى مَضَى)؛ أي: ومن يكن قصَّر في صغره وشبابه فعجيبٌ أمره؛ لأنَّه خاسر.

(عَجِبْتُ مِــن تَبَـــابِهِ)؛ التَّباب هو الخسارة،كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] [المسد: ١]؛ أي: خسر أبو لهب.

فيه أنَّ آفة الشَّباب هي التَّفريط والتَّهاون، وعاقبة التَّفريط واضحة -معشر المسلمين- وهي الخسران، وفيه كذلك أنَّه ينبغي أن يحرص الشَّاب على مصاحبة أهل السنَّة الذين ينصحونه، ولا يصاحب أهل الأهواء.

قال الإمام أحمد بن حنبل: "إذا رأيتَ الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أصحاب البدع فيأس منه، فإن الشاب على أوَّل نشوئه".[19]

[18] أخرجه الحاكم، في المستدرك، كتاب الإيمان، أمَّا حديث معمر، ١٠٧، (١/ ٩٣).
[19] الفروع وتصحيح الفروع، لشمس الدِّين ابن المفلح، (٣/ ٢٦٩).

هذه مسألة مهمَّة جدًّا؛ أنَّ ما نشأ عليه العبد سيبقى معه إلى آخر الأزمان ، فتجد مثلًا شخص كبر سنُّهُ تريد أن تغير في بعض طبائعه فلا تستطيع؛ لأنَّه نشأ على هذا الشَّيء لذلك قيل: "التَّعلم في الصِّغر كالنَّقش على الحجر".[٢٠]

وخلاصة الأبيات السَّبعة الأولى؛ أنَّ مرحلة الشَّباب مرحلة ذهبيَّة، من استقام فيها ووضح منهجه فيها سيربح ولن يخسر -بإذن الله سبحانه وتعالى-، ومن ضيَّعها فهو لما سواها من الأعمار أضيع.

❁ ثمَّ قال النَّاظم في البيت الثَّامن:

وَمَن يَقُلْ إِنِّـــي صَغِيْـــــرٌ أَصْبِرُ   حتى أخـــــاف الله حِيْــــــنَ أَكْبُرَ

أي: ومن يقول في نفسه إنِّي صغيرٌ أصبرُ ولا أبادِرُ إلى الطَّاعة، وإنَّما أنتظرُ حتَّى أكبر فأخافَ الله تعالى في حال الكِبر، في هذا يُحذِّرنا النَّاظم من الشِراك والشِباكِ التي يضَعُها الشَّيطان؛ وهي طولُ الأمل وتسويل النَّفس بالمعاصي بدعوى الصِّغر، وأنَّ التَّوبة تكون في الكبر، وهذا من أعظم الأماني التي حذّرنا الله -سبحانه وتعالى- من أن نقع فيها، قال الله تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

فمن وصايا النَّاظم للشَّباب أن لا يؤخِّروا التَّوبة وأن لا يُسوِّفوا، ولا يقول الواحد منهم: إذا كبرتُ سأتوبُ وأصلِّي وأحجُّ وأعتمِرُ، يا عبد الله، أيُّها الشَّاب هل عندك ضمانٌ من الله -تبارك وتعالى- أنَّه يُمهِلُك حتَّى تكبر؟ هل عندك ضمانٌ من الله -تبارك وتعالى- أنَّه يمهلك حتى تصير شيخًا كبيرًا، قال

٢٠ نثر الدُّر للآبِّي: (٥/ ٣٩).

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] ، منَّا من يردُّ إلى أرذل العمر ومنَّا من يتوفى قبل ذلك.

فالمطلوب من الشَّاب المبادرة إلى التَّوبة لا التَّسويف والوقوع في الأماني، ولو أنَّكم لاحظتم القرآن العظيم لوجدتموه دائمًا يذمُّ الأماني الباطلة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]

ومن المعلوم من الدِّين بالضَّرورة أنَّ الإنسان يحاسب منذ بلوغه، الشَّاب اليوم يبلغ سنَّ الحادي عشر، الثَّاني عشر، الثَّالث عشر، فإذا بلغ العبد يجب أن يحاسب نفسه على أساس أنَّه مكلَّف وأن الله تعالى سيحاسبه، لا يصنع كما صنع عامَّة النَّاس عندنا، إذا أمرتَ أو نهيت يقال لك: دع الطفلَ فلا زال صغيرًا، دع البنت فلا زالت صغيرة، هذا الذي أهلك شبابنا.

قديمًا الصَّحابة الكرام كانوا يقودون الغزوات والمعارك وهم أبناء أربعة عشر أو خمسة عشر سنة، وهذا يقود الجيش وهو ابن ثمانية عشر سنة، ونحن اليوم تجد عندنا الشابَّ ابن العشرين والثانية والعشرين، ووالده يقول: لا زال صغيراً !! هذا من أماني الشَّيطان معشر المسلمين.

وإنَّ مما عُرف في عُرفنا أنَّ بعض النَّاس مثلاً إذا حدَّثته بالحج والعمرة يقول لك: إذا كبرت سأحج وأعتمر، ومن أعطاك الضَّمان أنَّك ستعيش حتى سنِّ الكِبر؟ وقد عشنا في زمانٍ كنَّا نظنُّ أنَّ الحجَّ خاصٌّ بكبار السِّن؛ لأنَّنا لم نكن نعرف أولادًا صغارًا يحجُّون ويعتمرون، فلمَّا كبر العبد علم أنَّ الحجَّ يجب على العبد ما دام قادرًا ولو كان ابن أربعة عشر سنة، ما دام يملك الزَّاد والرَّاحلة فيجب عليه أن يحجَّ بيت الله الحرام.

قال النَّاظم هنا: (وَمَن يَقُلْ إِنِّـي صَغِيْـرٌ أَصْبِرُ حتى أخـاف الله حِيْـنَ أَكْبُرَ)؛ فهذا من حبائل الشَّيطان، يجب على الشَّباب أن يتخلَّصوا منه، وأن ينظروا في من حولهم كم مات من الشَّباب ممَّن هم

في سنِّهم، كم من شابٍ كان يؤمِّن مستقبلًا عظيمًا وله آمالٌ كبيرة، مات في ريعان شبابه ولم يُمهَل حتى وصل إلى سنِّ الكهولة أو الشَّيخوخة.

❁ ثمَّ أعقب النَّاظم ذلك بقوله:

فِـــــإِنّ ذاكَ غرّهُ إبْلِيـــــــــسُ   وَقَلْبُـــهُ مغـــــفَّل مَطْمُــــــوْسُ

فالذي يقول: سأتوب إلى الله حين أكبر، فهذا غرَّه إبليس، أي: أنَّ إبليس هو الذي سوَّل له وغرَّه بمتاع الغرور، وقلبُ هذا الذي يسوِّف التَّوبة (مغـفَّل مَطْمُــوْس)؛ أي: طمس هذا القلب بحيث لا يرى النَّور، والطَّمس -أيها المؤمنون- هو المحو، والمقصود به هنا: أن يُمحى الإيمان من قلبك، والله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالتَّوبة وأن لا نغترَّ بهذه الحياة الدُّنيا، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾؛ هذا خطابٌ للكبير والصَّغير، للمؤمن والكافر، للذَّكر والأنثى، ماذا حذّرنا ربنا؟ ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴾؛ الشَّاب الصَّغير في العادة يحتمي بوالديه، يقول: هذه القضيَّة لا ألقي لها بالًا؛ لأنَّ والدي سيتكفل بها، بحكم أنَّه ولي الأمر وربُّ الأسرة، ربُّنا -سبحانه وتعالى- يخاطبنا هذا الخطاب ﴿ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴾؛ أيُّها الشَّاب قد بلغت سنَّ التَّكليف، ما بقي والدك يغني عنك من الله شيئًا، ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾؛ والغرور هنا الشَّيطان كما قال المفسِّرون.

(فِـــإِنّ ذَاكَ غَرَّهُ إِبْلِيْـسُ)؛ وإبليس -أيُّها الأكارم- هو رأس الشَّياطين، وعدُّونا الأوَّل، وقد جعل لكل فئة عمريَّة مصائد، وإنَّ ممَّا يصطاد به الشَّباب الصِّغار أن يسوِّل لهم المعاصي بدعوى أنَّهم لا زالوا في الصِّغر، مع أنَّ الصَّبي إذا بلغ يكتب عليه كلُّ شيء.

إنَّ من أعظم الخُدَع التي خُدِعَ بها شبابنا اليوم ما يسمى بسنِّ المراهقة، وهذا المفهوم الغربي لسنِّ المراهقة، وكأنَّ سنَّ المراهقة يباح فيه كلُّ شيءٍ وأنَّ الخطأ فيه مغفور، وأنَّه لا اعتبار على المراهقين فيما يأتونه من المعاصي والكبائر ونحوها، هذا ممَّا ألقت بضلاله الحضارة الغربيَّة، وممَّا لا يُعْرف في ديننا.

نحن عندنا سنُّ الشَّباب؛ وهو سنُّ التَّكليف، والشَّابُ عندنا يُحاسب كما يُحاسب الكبير، فإيَّاكم أن تُخدَعُوا باسم سنِّ المراهقة، يقال: لا بأس فإنَّه مراهق، لا بأس عليها فإنَّها مراهقة ستكبر وتتوب ستكبر وتتزوج، لا يا إخواننا، لا وألف لا، منذ أن يبلغ الإنسان والملائكة تكتب عليه كل ما يأتي ويذر.

قال: (وَقَلْبُــهُ مغـــفَّل مَطْمُــوْسُ)؛ أي من استباح المحرمات وتمادى فيها بدعوى أنَّه صغير فهذا قد طمس على قلبه -والعياذ بالله-.

فيه -أيُّها الأكارم- أنَّ الاستقامة في الصِّغر هي أساس النَّجاح، وأنَّها أسهل من الاستقامة في الكبر، فكم من رجلٍ أراد أن يستقيم في كبره فما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ لأنَّ "التَّعلم في الصِّغر كالنَّقش على الحجر"،[21] أي: إذا تعلَّم الإنسان شيءً وهو صغير سيستمر معه إلى كبره، أمَّا أن تصلح نفسك وتأطِّرها على الحقِّ وأنت كبير فالأمر أكثر صعوبة، وقد سبق معنا أنّ من أحكموا البدايات تسلم لهم النِّهايات، فإيَّاكم وهذه الآمال الفاسدة وهذا الغرور الفاسد، أساس النَّجاح هو البناء الصَّالح، هو من هيَّأ الأرضية الصَّالحة.

أيُّها الشَّباب الزَّمان زمانكم والوقت وقتكم والأرضية صالحة لبناء وتشييد شخصيتكم وبناء تديُّنكم واستقامتكم، إيَّاكم ثمَّ إيَّاكم أن تغتروا بهذا الصِّغر، فكم من صغير مات وقد أمَّل مستقبلًا زاهرًا وحياةً طويلة، ولكن الله تعالى كتب عليه الموت كما يكتبه على الكبير.

---

[21] نثر الدُّر للآبِّي: (٥/ ٣٩).

❁ ثمَّ قال النَّاظم في البيت العاشر:

لا خَيْرَ فِيْـــمَنْ لَم يَتُبْ صَغِيْرا وَلَـــمْ يَكُنْ بِعَيْـــبِهِ بَصِيْـــرَا

أي: لا خير كامل فيمن لم يتبْ وهو صغير، ولا خير كامل في من لم يبصر عيبَهُ ويسعى في إصلاحه.

(لا خَيْرَ)؛ لا نافية للجنس، الأصل فيها أنَّها تعُم، لكن علمنا من خلال النُّصوص الأخرى أن نفي الخيرية هنا معناه نفي كمال الخير، وليس الخير كلُّه.

(لا خَيْرَ فِيْــمَنْ لَم يَتُبْ صَغِيْرا)؛ أي: من لم يتب وهو صغير فقد فاته خيرٌ كبير؛ لأنَّ هناك من الطَّاعات والقربات ما لا يقوم بها الإنسان إلَّا وهو صغير.

(وَلَـمْ يَكُنْ بِعَيْــبِهِ بَصِيْــرَا)؛ أي: ولا خير فيمن لم يبصر عيبه وهو صغير وسعى في إصلاحه، وهذه التَّذكرة من النَّاظم -أيُّها الأكارم- فيها فوائدُ كثيرةٌ جدًّا:

أولا: أنَّ التَّوبة ليست لها سنٌّ معيَّنة، بل هي وظيفة العمر، هكذا يقول العلماء، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] ؛ الخطاب للجميع، أي: توبوا جميعًا، الصغير والكبير، الشَّاب والشيب، الذَّكر والأنثى، ﴿ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾؛ لعلَّ: عند العلماء بمعنى: كي، أي: توبوا إلى الله جميعًا أيُّها المؤمنون كي تفلحوا، هذا خطابٌ من الله تبارك وتعالى وتذكرةٌ من النَّاظم بضرورة توبة الشَّباب.

ما من شَّاب إلَّا وعنده بعض التَّقصير في شيءٍ من الأشياء، فبادر أيُّها الشَّاب، جاهد نفسك، وقد جاء في خبر أنَّ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»،[٢٢] وإن جاهدت نفسك وأنت في زمن الصغر ستتنعَّم فيما بقي لك من العمر، كما جاء بعض السَّلف: "كابدت نفسي في قيام الليل عشرين سنة، وتلذذت به بقية

[٢٢] أخرجه التِّرمذي، في الجامع، أبواب فضائل الجهاد، باب فضل من مات مرابطًا، ١٦٢١، (٤/ ١٦٥).

عمري"،[23] وقيل: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت"،[24] هكذا الشَّاب إذا أصلح نفسه وحافظ على صلاته وحافظ على أذكاره وهو صغير، سيتمتع باقي عمره بهذه الطَّاعات وهذه القربات.

يقول الله تعالى في هذا الصَّدد: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨] ؛ هذا يشمل كل مؤمنٍ كبيرٍ كان أو صغير، لأنَّ هناك بعض الأخطاء التي يقع فيها الشَّباب قد لا يجد لإصلاحها سبيلًا، وعلى رأسها عقوق الوالدين لذلك فلتحذروا من هذا، فإنَّ بعض الشَّباب قد ينحرف ويعقَّ والديه ويصل في درجة العقوق إلى أن يؤلم والديه في قلبيهما، فيطَّلع الله -سبحانه وتعالى- على غضب والديه عليه فيغضب الله عليه، فلا يفلح بعد ذلك أبدًا، والسَّبب هو دعوة الوالدين، فمن دعا عليه والداه بالشَّر فقلَّ أن يفلحُ معشر المسلمين، وقلَّ أن يختم له بالحسنى.

فاتقوا الله -معشر الشَّباب-، واعلموا أنَّكم في زمان البناء وأنَّ مصيركم يتحدَّد في هذه المرحلة، فبطاعتك لوالديك تفتح مستقبلًا زاهرًا، وبعقوقك لهما يخشى عليك أن ينتقم الله -عزَّ وجلَّ- منك أشدَّ الإنتقام، فإنَّ أعظم الحقوق بعد حقِّ الله تعالى هو حقُّ الوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦]

ثانيا: فيه أنَّه ما من مسلمٍ إلَّا وله عيوبٌ ونقائص والشَّباب مظنَّةُ ذلك، وإن من علامات توفيق الشَّاب أن يشتغل بعيوبه منذ الصغر، وأن لا يشتغل بعيوب النَّاس، فمن أدرك عيوبه فذاك أوَّل الطريق، وقد جاء في الحديث عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».[25]

---

[23] شرح صحيح البخاري، لابن بطَّال: (١/ ٦٦).

[24] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصبهاني: (٣/ ١٤٧).

[25] أخرجه التِّرمذي، في الجامع، أبواب الزُّهد، باب، ٢٣١٧، (٤/ ٥٥٨).

إذا أردت أن تعرف الشَّاب الموفق فإني أتخيله شابٌ يحرص على الاستقامة، يحاسب نفسه ويريد أن يجاهد نفسه على التَّخلص من الأخلاق السيئة والتَّحلي بالأخلاق الحسنة، فيجاهد نفسه على ترك الخلق السيئ الأول ثمَّ الثاني ثمّ الثالث، فيكتسب قوَّة ويكتسب ثقة في نفسه؛ لأنَّه قادرٌ على أن يصلح نفسه، ولا يزال يتدرَّج في مراقي في مراقي الأخلاق الحسنة، حتى يصل إلى درجةٍ يكون بها مستقيمًا على ما أمر به الله ربّ العالمين.

زمن الصِّغر زمن القوَّة والعنفوان والصَّبر، لما يكبر الإنسان تفتر همَّته في مجاهدة نفسه، ويضعف ويشتغل في أشياء أخرى، ولا يعد عنده شيءٌ من الوقت حتى يجاهد نفسه، فالصِّغر فرصة ذهبية معشر الشَّباب للتَّخلص من العيوب، والنَّشأة على التَّوفيق والسَّداد، وانظروا إلى الشَّباب الذين تخلَّصوا من العيوب وهم صغار في بداية الاستقامة، من كان منهم مدخنًا تخلَّص من ذلك السوء -والعياذ بالله-، من كان مستطيلًا في أعراض إخوانه بالغيبة والنَّميمة تركها. واذهب إلى رجلٍ كبيرٍ اعتاد الغيبة وحاول أن تقنعه بترك الغيبة، صعبٌ جدًا معشر المسلمين؛ لأنَّه من شبَّ على شيءٍ شاب عليه، لأنَّه ترك مجاهدة نفسه في الصِّغر فلم يوفَّق في الكبر.

ثالثا: فيه كذلك أنَّ من رأى نفسه دون عيوب فهو مغرورٌ، واعلم أنَّ الشَّيطان قد غرَّه وقد أمسكه بكلتا يديه، وكلُّنا ذلك الرَّجل الذي لولا ستر الله عليه لافتضح، إذ كان محمد بن واسع بن جابر -وهو من كبار الزُّهاد- يقول: "لو كان للذُّنوب رائحة ما قدرتُم أن تدنُوا منِّي من نَتَن ريحي"؛[٢٦] هذا رأسٌ من رؤوس العبَّاد في ذلك العصر، فكيف نقول نحن معشر المسلمين؟ كيف نقول ونحن لولا ستر الله تعالى لفتضحنا، فالتَّوبة وظيفة العمر وعلى الشَّباب أن يسارعوا في هذه التَّوبة.

[٢٦] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لابن الجوزي: (١١/ ١٢٤).

❁ ثمَّ قال النَّاظم في البيت الحادي عشر:

مُجــــــانِبًا لِلإثْمِ والعـــدوان مُسْـتَعْصِـمًا بِالذِكْرِ مِن نِسْـيَـــانِ

(مُجــانِبًا)؛ بمعنى: مباعدًا، و(مُسْتَعْصِمًا)؛ مأخوذٌ من الاعتصام، وهو الالتجاء والاحتماء.

(مُجــانِبًا لِلإثْمِ والعـدوان)؛ من صفات الشَّاب الموفق أنَّه بعيدٌ الإثم؛ وهو الذُّنوب والمعاصي، بعيدٌ عن العدوان؛ وهو أن يتعدَّى حدود الله -سبحانه وتعالى-، يحتمي بالذِّكر من الغفلة والنِّسيان وهما داءٌ عظيم.

هذا فيه -أيُّها المؤمنون الطيِّبون المباركون- تحذيرٌ للشَّباب من الاقتراب من الإثم والعدوان، إيَّاكم الآثام، إيَّاكم الاعتداء، فإنَّ بعض الذُّنوب لها آثارٌ وخيمة ولو بعد حين، والدَّليل على ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] فالنَّاظم اقتبس كلامه من هذه الآية العظيمة، ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾؛ أي: أنَّ الشَّاب يجب عليه أن لا يتعاون على الإثم والعدوان، وهذا فيه تحريم التَّعاون -ومن باب أولى المباشرة في ذلك-، أي: لا تباشر في الإثم والعدوان ولا تعن عليه، فإنَّ الذُّنوب ديون، والله -سبحانه وتعالى- هو الدَّيان الذي سيحاسبنا، وإن من الذُّنوب ما عقوبته معجَّلة، كما تدِين تُدَان؛ هذه قاعدة -أيُّها المؤمنون- تحتقر النَّاس سيأتي اليوم يحتقرك غيرك، تظلم النَّاس ستُظْلَم، وهكذا كل ما تصنعه يذيقك الله -عزَّ وجلَّ- من نفس الكأس، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ، وقال أيضا: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]

لذلك لـمَّا جاء ذلك الشَّاب إلى النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه، فدنا منه قريبا. قال: فجلس قال: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قال: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قال: لا. والله

يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قال: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قال: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[٢٧]

وهذا فيه تنبيهٌ لما تكلم عنه النَّاظم؛ وهو العدوان على أعراض النَّاس، أليست أبواب الزِّنا مفتوحة اليوم؟ بلى، فإيَّاك أيُّها الشاب، ما يدريك لعلَّك تقترف هذه الكبيرة فيعاقبك الله في الدُّنيا قبل الآخرة، وتراها في بناتك وترها في أخواتك، -والعياذ بالله- الذُّنوب ديونٌ معشر المسلمين.

(مُسْتَعْصِمًا بِالذِكْرِ مِن نِسْيَـــانِ)؛ أي: يجب على الشَّباب أن يحتموا مِنَ الشَّيْطَانِ الذي يسول لهم العدوان بالذكر فهو مطردة للشيطان، وبه يتقوَّى الإنسان.

ذكر الإمام بن القيِّم -رحمة الله عليه- عن شيخه شيخ الإسلام بن تيميَّة -رحمه الله- عن قضية الذِّكر قال: "حضرت شيخ الاسلام ابن تيميَّة مرةً صلى الفجر ثمَّ جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النَّهار، ثمَّ التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي".[٢٨] وقد كان يقاتل ويحارب من هنا ومن هناك بقوَّة عجيبة يتعجب منها النَّاس، ما مصدر هذه القوة؟ (مُسْتَعْصِمًا بِالذِكْرِ مِن نِسْيَـــانِ).

---

[٢٧] أخرجه أحمد، في مسنده، تتمة مسند الأنصار، مسند أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه-، ٢٢٢١١، (٣٦/ ٥٤٥).

[٢٨] الوابل الصيِّب، لابن القيِّم، ص٤٢.

❁ ثمَّ قال النَّاظم بعدها في البيت الثَّاني عشر:

وَيَـــا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَـــــــاهُ ... فِـــــي عَمَلٍ يَرضَى بِهِ مَوْلَـــــاهُ

(وَيَـا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَــاهُ)؛ يا لها من سعادة لإنسانٍ قضى عمره (فِـــي عَمَلٍ يَرضَى بِهِ مَوْلاهُ)؛ ومولانا هو الله -سبحانه وتعالى-، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] ، مولانا أي: كافينا، هو الذي يعصمنا ويسدِّدنا، هو الذي يحفظنا بحفظه، ويكلأنا برعايته، فالسَّعيد كما قال النَّاظم من قضى عمره في أعمال يرضى الله -عزَّ وجلَّ- عنها.

الشَّباب يبحثون عن السَّعادة ولن يجدوها إلَّا في طاعة الله ربِّ العالمين، فالسَّعادة الحقيقيَّة في الاستقامة على طاعة الله، وقد وعدكم الله -سبحانه وتعالى- يا معشر الشَّباب بالحياة الطَّيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ، والله لن تجدوا السَّعادة في الشَّهوات، وفي شرب المسكرات، لن تجدوها في العلاقات المشبوهة، إنما هي متعٌ زائلة وبعدها عقابٌ الأليم.

تريدون المتعة الحقيقيَّة؟ إنَّها العبودية، هي جنة الدُّنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنَّة الآخرة، لذلك قال ابن القيِّم -رحمه الله- فيما نقله عن بعض السّابقين: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسُّيوف".[٢٩]

فالله -سبحانه وتعالى- إذا رضي عنك فتحت لك أبواب السَّعادة، أبواب الطَّمأنينة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ، وقال رسول الله -صلى الله

[٢٩] الداء والدَّواء، لابن القيّم: ص ٢٣٣.

عليه وسلم-: «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا دعى جبريل، فقال: يا جبريل إنِّي أحبُّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثمَّ ينادي في السَّماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، قال: فيحبه أهل السَّماء، فيوضع له القبول في الأرض».[٣٠] ستعيش سعيدًا ولو كنت فقيرًا ولو كنت قريرًا؛ لأنَّ الذي رضي الله عنه في السَّماء مرضيٌّ عنه في الأرض، وكل أمره سهلٌ ميسَّرٌ -بعون الله تعالى وفضل-.

❁ ثمَّ قال أبو زيد عبد الرحمن الأخضري -رحمة الله عليه-:

أَحبّ رَبِــــي طَـاعَةِ الشَّبـــان   يَـــــا فوزَهُمْ بجَنّةِ الرِّضْــوانِ

قوله هنا: (أَحَبّ رَبِــي طَـاعَةِ الشَّبــان)؛ أي: أنَّ الله تعالى يحبُّ أن يطيعه الشباب في مقتبل أعمارهم وسيأتي السَّبب.

(يَــا فَوزَهُمْ بجَنّةِ الرِّضْــــوانِ)؛ أي: إن أطاعوا الله فيا فوزهم ويا سعادتهم بجنَّة الرِّضوان، حيث يرضى الله تعالى عن أهل الجنَّة ويرضيهم.

يحب الله -سبحانه وتعالى- طاعة الشَّباب؛ لأنَّ داعي الشَّهوة عنده قويٌّ، وحبَّ الدُّنيا في قلبه قويٌّ، ولأنَّ الشَّاب دائمًا عنده إقبالٌ على الدُّنيا فكل شيء متاحٌ أمامه بعكس الكبير، ومع ذلك يجاهد نفسه في طاعة الله، لذلك جاء عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «يَعْجَبُ رَبُّكَ تَعَالَى لِلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»؛[٣١] والمقصود: أنَّه لا يتَّبع طريق الشَّهوات، يعجب الله سبحانه منه فيثيبه ويرضى عنه.

أيُّها الشَّاب هذه فرصة لتثبت لربِّك أنَّك مستقيمٌ على طاعته، وأنَّك تضحي بالشَّباب وقوَّة البدن والجمال وغيرها من الأمور، لأجل يومٍ تجد فيه السعادة الحقيقيَّة، بعض النَّاس -ما شاء الله- تراه له كل

---

[٣٠] أخرجه أبو عوانة، في المستخرج، مبتدأ كتاب صلة الأرحام، باب البيان في عوام المسلمين إذا أحبوا الرجل المسلم أنهم يحبونه بحب الله -عزَّ وجل-، ١١٥٠٩، (٢٠/ ١٥٥).

[٣١] أخرجه ابن المبارك، في الزُّهد والرقاق، باب فخر الأرض بعضها على بعض، ٣٤٩، (١/ ١١٨).

إمكانيات الفساد وكل إمكانيات الشَّهوات والشُّبهات لكن تجده مستقيمًا طائعًا، لو أراد الشَّر لعرف الطريقة إليه، لكنَّه يخاف الله ربَّ العالمين.

كما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ..»[٣٢] الحديث.

نشأ في طاعة الله، ليس المقصود أنَّه معصوم، لكنَّه نشأ محافظًا على صلاته طائعًا لوالديه، مستقيماً في عموم أمره، ومشى على هذا الأمر حتى كبر، هذا لا خوف عليه، بل هذا ممَّن يجزى يوم القيامة خير الجزاء.

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمه الله-:

فَتُـــبْ إِلـــــى مَولاكَ يَا إِنْسَـــــانُ   مِن قَبْلِ أنْ يَفُـــــــــوتكَ الأوَانُ

أي: فتب وبادر إلى التَّوبة أيُّها الإنسان قبل أن يفوتك الحال وتندم، قال تعالى في وصف حال النَّادم: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ، فالمطلوب من الشَّباب أن يبادروا التَّوبة إلى الله سبحانه وتعالى قبل أن يفوتهم الأوان، قد يقول القائل: هؤلاء لا زالوا صغارًا فلماذا نفزعهم بهذا الخطاب؟؟ الفزع الأكبر حين يقوم الإنسان بيد يدي ربِّ العالمين فيجد على ظهره جبالًا من الذُّنوب والمعاصي، قال بعض السلف: "لأن أصحب أقوامًا يخوفونني حتى ألقى أمنًا خير لي من أن أصحب أقوامًا يزينون لي حتى ألقى فزعًا يوم القيامة"،[٣٣] ومعلوم عندكم أنَّ من وصايا السَّابقين قولهم: استمع لمن يبكيك ولا تستمع لمن يضحكك.

---

[٣٢] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأذان، بابمن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ٦٦٠، (١/ ١٣٣).

[٣٣] الزُّهد والرقاق، لابن المبارك، ص ١١٢.

الشَّباب اليوم يسوِّل بعضهم لبعض في المعاصي بضحك واستهزاء ولعب، ما خلقنا للَّعب معشر المسلمين، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١-٣] ؛ فإيَّاك أن تكون ممَّن هذا وصفه.

ولا يعني هذا أن لا نستمتع بشبابنا، بل نستمتع به فيما أباحه الله -سبحانه تعالى-، لكن ليس على حساب ديننا، فإنَّ أعظم خطر يهدِّد الشَّباب اليوم هو خطر الفراغ والتَّفاهة والاستكثار من اللَّعب واللَّهو، وهم في الحقيقة رجال، من في عمره قديمًا كان يخرج ويقاتل في الجيش، نحن من جعلهم صغارًا، نحن الذين أهلكنا أولادنا، لم نعلمهم المسؤولية لم نكلفهم، نخاف عليهم من البرد فلا نأمره بالقيام لصلاة الصُّبح مثلا، هذا الدَّلع الزائد للأولاد ليست رحمة بهم، إنَّما هو إفساد لهم -والعياذ بالله-.

لـمَّا قيل لأحد السَّلف: "ارحم نفسك، قال: رحمتها أرجوا"، أي: أنا أشدِّد على نفسي حتى أرحمها، وأمَّا الذي يعطي لنفسه الرَّاحة فهذا ما رحم نفسه، وإنَّما يعرضها لعذاب الله -سبحانه وتعالى-.

(فَتُبْ إلــى مَولاكَ يَا إِنْسَـانُ)؛ فالتَّوبة تكون إلى المولى، وهذا فيه تنبيه على الإخلاص، فإنَّ من شروط التَّوبة أن تكون خالصةً نصوحًا لوجه الله -سبحانه تعالى-.

❁ ثمَّ قال -رحمة الله عليه- واصفًا هؤلاء الشَّباب:

مُرَاقِـــبًا لله في الشُّـــؤونِ ... مُحَـــاذِرًا مِنْ سَـــائِرِ الفُتُـونِ
مُجَـــانبًا رَذَائِلَ الأَخْلَـــاقِ ... مُجَـــافِيًا كُلًّا عَدَا الخَلَـــاقِ

(مُرَاقِـــبًا لله فِي الشُّـــؤونِ)؛ أي: هذا الشَّاب الذي تاب تجده مراقبٌ لله -عزَّ وجل- في جميع شؤونه، حذرًا من سائر الفتن.

(مُحَـــاذِرًا مِنْ سَـــائِرِ الفُتُـــونِ)؛ يعني: الفتن، ومن صفات الشَّاب الموفَّق أنَّه يراقب الله تعالى في كل شيءٍ في السِّر والعلن، في البيت وفي المسجد، في بلده وفي غير بلده، لا تكن أيَّها الشَّاب وليًا لله تعالى في الجلوة؛ أي: حين تتجلَّى للنَّاس، عدوًا لله تعالى في الخلوة، لا تكن أيُّها الشَّاب طائعًا لله متخلقًا مع النَّاس، فإذا بنا نسمع بك أنَّك جبَّار مع أهلك أو والديك؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- مطَّلع علينا في كل أحوالنا.

على الشَّاب أن يحذر سائر الفتن، وقد أخبر عنها النَّبي -صلى الله عليه وسلم- بأنَّها كثيرة في آخر الزَّمان ونحن في زمنِ الفتن والشُّبهات والشَّهوات، فيجب على الشَّاب أن يبتعد عنها، هذا الزِّنا، وهذه علاقات، وهذه المخدرات والمسكرات، إيَّاكم يسوِّل لكم الشَّيطان بهذه الأمور المفسدة للعقل والدِّين.

(مُجَــانبًا رَذَائِلَ الأَخْلاقِ)؛ فمن صفات الشاب الموفَّق أنَّه يجتنب ويجافي الأخلاق السَّيئة، وأن يحسِّن خلقه فإنَّ حسن الخلق دليلٌ على حسن الإيمان، قال النَّبي -عليه الصلاة والسلام- عن أكمل المؤمنين إيمانًا قال: «أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا».[٣٤]

(مُجَــافِيًا كُلاًّ عَدَا الخَلاقِ)؛ ويجب عليك يا عبد الله أن تجافي وتعادي أعداء الله -سبحانه وتعالى-، وأنت توالي أولياء الله -سبحانه وتعالى-، أن تكون مع الله ومع من يحب الله ومع من يعمل من أجل الله، فإنَّ «أفضَلُ الأعمال: الحُبُّ في الله والبغضُ في الله»، فإيَّاك أن تحبَّ من أجل الدُّنيا وأن توالي وأن تصاحب من أجل الدُّنيا، اِجعل المحبة لله وفي الله فهي التي تدوم، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

[٣٤] أخرجه عبد الرزاق، في مصنفه، كتاب الصَّلاة، باب فضل التَّطوع، ٤٨٤٣، (٣/ ٧١).

❁ يقول الإمام الأخضري -رحمة الله عليه-:

فَإِنْ أَرَدْتَ الفَوزَ بِالنَّجَاةِ فَاسْلُكْ سَبِيْلَ الحَقِ والهُدَاة

(فَإِنْ أَرَدْتَ الفَوزَ بِالنَّجَاةِ)؛ أي: فإن أردت -أيُّها الشاب- أن تفوز بجنَّات الله تعالى فاسلك سبيل الحقِّ والهداة، أي: فعليك بسلوك طريق الحقِّ وطريق الأنبياء والصَّالحين والعلماء وأولياء الله -سبحانه وتعالى-، فالهداة المهديُّون هم الرُّسل والأنبياء؛ لأن الله تعالى أيّدهم بالهدى وكل من اتّبع الرسل فهم من الهُداة، فالعلماء هُداةٌ إلى الطريق الحقِّ، والوعَّاظ وطلبة العلم، الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر، هؤلاء كلُّهم هُداةٌ.

والهداية هدايتان هداية التَّوفيق وإلهام هذه ليست إلا لله -عزَّ وجل-؛ فهو الذي يهدي النَّاس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وأمَّا هداية العلماء والخطباء والوعَّاظ؛ فهي هداية دلالةٍ وإرشاد، فهم يدلُّوننا ويرشدوننا لما فيه خيرنا وصلاحنا، فإذا أردت أيُّها الشَّاب الفوز الحقيقي فعليك بطريقٍ واحدة، وهي طريقهم.

فيه أنَّ أعظم الفوز؛ هو الفوز في الآخرة، وأنَّه مهما فات الشَّاب من أموره في الدُّنيا فأهم شيءٍ ألَّا يفوته الفوز في الآخرة، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وفيه أنَّ طريق الجنَّة واحدٌ، والسَّبيل الموصل إلى الله -سبحانه وتعالى- واحد، وما سواه فهو سبلٌ على رأس كل سبيل منها شيطان يدعوا ومن أجابه قدفوه في النَّار -والعياذ بالله-، وقد مثّل لنا ذلك رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في الحديث المشهور حين خطَّ خطًا، ثمَّ خطَّ عن يمينه، وعن شماله خطوطًا، ثمَّ قال: «هَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثمَّ قرأ:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .[٣٥]

فيه كذلك أنَّ معرفة طريق الصَّواب لا تكفي بوحدها حتى يمشي عليها الشَّاب ويصبر على ذلك حتى يلقى الله -عزَّ وجل-، فإنَّ الشَّاب على حالاتٍ مع الصِّراط المستقيم:

الحال الأولى: أن لا يعرف هذا الصِّراط بسبب تقصيره، وهذه جريمةٌ في حقِّ نفسه، فابحث عن الطَّريق الصَّواب واسعى في ذلك.

الحال الثَّانية: أن يعرف الطَّريق الصواب لكنَّه لا يسلكه، هذا قد قامت عليه الحجَّة، وسيحاسب يوم القيامة أنَّه أبصر الحقَّ ولكنه لم يسلكه، مثله ومثل الكفَّار المعاندين -والعياذ بالله-.

الحال الثَّالثة: أن يبصر الحقَّ وأن يمشي فيه لكن لا يثبت، هذه كذلك درجة أخرى فيها تقصير.

الحال الرَّابعة: وهي الأتمُّ والأحسن والأكبر؛ أن يبصر الشَّاب طريق الحقِّ ثمَّ يسلكها، ثمَّ يثبت عليها حتى يلقى الله -سبحانه وتعالى-، فهذا هو المطلوب من الشَّاب المسلم.

(فَاسْلُكْ سَبِيْلَ الحَقِ والهُدَاة)؛ أي: أسلك هذا السَّبيل واثبت عليه حتى تلقى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنَّ أعظم شيءٍ قد يغيب عن أذهان بعض الشَّباب؛ أنَّه لو ثبت على شيءٍ ولو كان قليلًا لكان خيرًا له، وهذا الذي ينجيه القيامة، لذلك كان عمل الصَّحابة -رضي الله عنهم- ديمة، قالت عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»،[٣٦] «وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ»،[٣٧] كما سبق وذكرنا.

---

[٣٥] أخرجه الحاكم، في المستدرك، كتاب التفسير: قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، في ما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير. السور، تفسير سورة الأنعام، ٣٢٤١، (٢/ ٣٤٨).

[٣٦] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصوم، باب هل يخصُّ شيءً من الأيَّام، ١٩٨٧، (٣/ ٤٢).

[٣٧] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدَّائم من قيام اللَّيل وغيره، ٢١٥، (١/ ٥٤٠).

مثلًا: أن تحافظ على الصيام الاثنين والخميس حتى تلقى الله -عزَّ وجل- خيرٌ لك من أن تصوم شهر، ثمَّ أسبوعٍ، ثمَّ تترك الصِّيام، هذا الذي يجب أن يركزَ عليه الشَّاب المسلم أول ما يستقيم، بأن يثبت على ما عاهد الله عليه بالرَّغم من تحول الأحوال.

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمه الله-:

يَا مَنْ يَرُوْمُ الفَــــوزَ في الجَنّــاتِ بِالمُشْتَهَـــــى وَسَـــائِرِ اللّـذَاتِ

أي: يا من يهدف ويروم هذا الفوز بالجنَّات، وهو غارقٌ في الشهوات وفي اللَّذات، أنت واهمٌ، فكما قيل قديمًا:[38]

تَرجُوا النَّجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السَّفينة لا تجري على اليبس

الفوز بالجنَّات لا يران بالشَّهوات والإغراق في اللَّذات، وقد وضح لنا النَّبي -صلى الله عليه وسلم- الطريق الصَّواب، جاء في الخبر عنه -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»،[39] فلا تناقض طبيعة هذا الكون وسنَّة هذا الكون، تريد أن تتمتَّع باللَّذات وتتوسَّع في هذا الأمور وفي الوقت نفسه تفوز بالجنَّة؟؟ لا هذا لا يأتي، قال بعض السَّلف: "الدنيا والآخرة ضرتان، فمتى أرضيت احداهما أغضبت الأخرى".[40]

فيَا مَنْ يَرُوْمُ الفَــوزَ في الجَنّـاتِ بِالمُشْتَهَـــى وَسَـائِرِ اللّـــذَاتِ؛ أنت واهمٌ، يجب أن تتقلَّل من الشّهوات ومن اللذّات، اللَّهم إلّا الطَّبيعي منها من مأكلٍ ومشربٍ ومنكحٍ حلال.

[38] جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى، للألباني: (٧/ ١٣٣).

[39] أخرجه أحمد، في مسنده، مسند المكثرين من الصَّحابة، مسند أبي هريرة -رضي الله عنه-، ٧٥٣٠، (١٢/ ٤٩٧).

[40] التَّيسير بشرح الجامع الصغير، للمُنَاوِي: (١/١٤٦).

❁ ثمَّ قال -رحمه الله-

انْهَضْ إلى السّـجْدَاتِ فِي الأَسْـحَارِ وَاحْرِصْ على الأَوْرَادِ و الأَذْكَـــــارِ

هذه وصيةٌ عظيمةٌ من النَّاظم؛ فيَا مَنْ يَرُوْمُ الفَــوزَ في الجَنّــاتِ.. انْهَضْ إلى السّجْدَاتِ فِي الأَسْحَارِ.

الجنَّة سلعة الله الغالية، ومن رام شراء هذه السِّلعة فعليه أن يبذل الثَّمن، الجنَّة دارٌ عظيمة، لا تخطر على بال أحد، ومهرها العمل الصَّالح، مهرها القيام في الأسحار.

(الأَسْحَارِ): جمع السَّحر؛ وهو آخر وقت اللَّيل قبل طلوع الفجر، هذا الوقت مبارك جدًا، وهو وقت التَّنزل الإلهي كما في الحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».[٤١]

فمن رام الوصول إلى الجنَّة عليه أن يستغلَّ هذا الوقت المبارك العظيم.

(انْهَضْ إِلى السّجْدَاتِ فِي الأَسْحَارِ)؛ أي: إنهض إلى قيام اللَّيل ولو ركعتين في الأسحار.

(وَاحْرِصْ على الأَوْرَادِ وَالأَذْكَـــــارِ)؛ أي: كن حريصًا على أورادك وأذكارك.

أمَّا الأذكار فأمرها معروفٌ عندكم: أذكار الصَّباح والمساء، أذكار الصَّلاة، أذكار النَّوم، أذكار الأكل وغيرها، هذه كلُّها يجب أن يتسلَّح بها الشَّاب حتى يكون قويًّا أمام هذا الجيش العرمرم من الشَّهوات.

وأمَّا الأوراد؛ فجمع ورد، وهو الشَّيء الذي يتوارد ويتكرّر، وهو ما يصنعه الإنسان ويدوم عليه من العبادات والطَّاعات، فالشَّاب له وردٌ من القرآن وهو أن يقرأ مقدار منه كلَّ يوم، له ركعتي نافلة يصليهما

---

[٤١] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: الدُّعاء في الصلاة من آخر الليل، ١١٤٥، (٢/٥٣).

وهي ورده من الصَّلاة، طلب للعلم له ورد، المراجعة لها ورد، الحفظ له ورد، فلا تعش -أيُّها الشَّاب- هكذا سبهللًا، لا برنامج لك.

أكثر النَّاس خسارة هم الذين لا ينظمون حياتهم، نظِّم حياتك ووضِّح أمورك وأهدافك، فوردك وردك يا عبدالله إيَّاك أن تفرِّط فيه، ولكلٍّ ورده على حسب قدرته وعلى حسب شغله وتفرُّغه، المهم أن لا يمرَّ عليك هذا اليوم إلَّا وقد صنعت ما سطَّرت لنفسك.

وقوله: (الأَوْرَادِ وَالأَذْكَـارِ)؛ مقصودة: الأوراد السنِّيَّة بطبيعة الحال، وليست أوراد الطُّرق المخترعة المبتدعة التي ليس عليها دليل، تكفينا أوراد النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن لم يكفه ورد النَّبي -عليه الصلاة والسلام- فلا كفاه الله؛ لأنَّ العبادة ليس مطلوبة في حدِّ ذاتها وإنَّما المطلوب اتِّباع النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فيها.

❁ ثمَّ قال:

وَاحْذَرْ رِيَاءَ النَّـــــاسِ فِي الطَّـاعَاتِ فِي سَـــــــائِرِ الأَحْوَالِ وَالأَوْقَـــاتِ

بعد أن حثَّ -رحمه الله- على الذِّكر والطَّاعة والعمل الصّالح، جاءك إلى قضيَّةٍ مهمَّة، وبابٍ يفتحه الشَّيطان على من وفِّق للتَّعبد، و هو باب الرِّياء.

احذر أيُّها الشَّاب من الرِّياء فإنَّه محبطٌ للأعمال، وهذه وصيةٌ مهمَّة جدًا للشباب، إذا أعجبك عملك إيَّاك والغرور والعُجب فإنَّه يحملك على أن ترأي النَّاس، حتى يقول النَّاس: ما أقرأه ما أحسنه ما أكثر مكوثه إلى غيرها من الألقاب.

إيَّاك أن يغرَّك الشَّيطان، فنحن نعمل لله -عزَّ وجل- ونريد وجه الله -سبحانه وتعالى- بأعمالنا، أمَّا النَّاس فلا يملكون لنا من الله شيئًا، وفي الحديث القدسي في (صحيح مسلم) يقول فيه الله -تبارك وتعالى-: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».[٤٢]

فيه الحثُّ على الصِّدق والإخلاص وأنَّهما عنوان وسرِّ التَّوفيق، وعلامة الإخلاص استواء الخلوة والجلوة، فمن وطَّن نفسه على الصِّدق والإخلاص في التَّديُّن من أول يومٍ يوفّق وسيستمر إلى النِّهاية ويختم له بالحسن، لكن المصيبة والبليَّة كل من جعل تديُّنه واستقامته لأغراض دنيويَّة؛ كالرِّياء السُّمعة وبعض أغراض الدُّنيا، هذا لا يوفَّق ولا يتم الله له -والعياذ بالله-.

لذلك لـمَّا سئل ابن الجوزي عن الانتكاس فقال: "وإنَّما يتعثَّر من لم يخلص"،[٤٣] لذلك دع عنك النَّاس فإنَّ أصل المخالطة النَّاس داء والأنس بالله -عزَّ وجل- هو الدَّواء.

❁ ثمَّ قال الشَّيخ -رحمة الله عليه-:

وَاخْتَرْ مِنَ الأَصْحَـــــابِ كلّ مُرْشِدِ ... إنّ القَرِيْـــــنَ بِالقَرِيْـــــنَ يَقْتَدِي
وَصُحْبَةُ الأَشْـــــرَارِ دَاءٌ وَعَـــــمَى ... تَـزِيْـدُ في القَـلْبِ السَّـقِيْم السَّـقَمَا

تكلم النَّاظم هنا على مسألة مهمَّة هي مسألة الصُّحبة للشَّباب، وما أكثر ما ضيَّع الشَّباب من هذه القضيَّة، الصَّاحب ساحب، والشَّاب الذي يريد الاستقامة يجب عليه أن يختار صحبةً طيِّبة، كما في قصَّة أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، فتية اجتمعوا لأنَّهم صُلَّاح.

---

[٤٢] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الزُّهد والرِّقاق، باب من أشرك في عمله أحد غير الله، ٤٦، (٤/ ٢٢٨٩).

[٤٣] صيد الخاطر، لابن الجوزي: ص٣٦٧.

(وَاخْتَرْ مِن الأَصْحَابِ كلّ مُرْشِدِ)؛ أي: كلَّ من يرشدك إلى الحق وإلى طريق الحق، بعض الشَّباب يشتكي فيقول: أنا أريد أن أستقيم، أريد أن أثبت لكن لا أستطيع، السَّبب واضحٌ؛ لأنَّك لا زلت مع شِلَّتِكَ القديمة، الشِّلَّة التي تعمَل المعاصي، فقلبك سَيَمِيل نحو ما يفعلون.

إذا أردت التَّوبة الحقيقيَّة تخلَّص من أصدقاء السُّوء، ليس معنى هذا أنَّك تعاديهم، لكن تخلَّص من مجالستهم، والعهد الذي بينك وبينهم هو النَّصيحة، وانظر لنفسك أصحابًا يرشدونك إلى مراد الله، ويذكرونك إذا نسيت، فهؤلاء هم الأصحاب الحقّ، الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ، والمحبَّة في الله تنفع في الدُّنيا وفي الآخرة، وبركةٌ في الدُّنيا والآخرة.

(إنّ القَرِيْـنَ بِالقَرِيْـــنَ يَقْتَدِي)؛ أي: أنَّ الصاحب بالصَّاحب يقتدي، فيجب أنْ تختار لصحبتك القدوة من النَّاس، فإذا رأيته يشتغل في الطاعة حملك هذا الأمر على الاجتهاد، وإذا رأيته يسعى في القربات حملك ذلك على الإجتهاد، والنَّفس مولعةٌ بتقليد من تراه في منزلة هي أعلى من منزلته.

وفي قصة الرَّجل الذي قتل مئة نفس، ثمَّ جاء إلى عالمٍ ينصحُهُ قال: فهل لي من توبة، قال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنَّها أرض سوء، فانطلق حتى إذا وصل نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرَّحمة.[٤٤]

---

[٤٤] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب التَّوبة، باب قبول توبة القاتل، ٤٦، (٤/ ٢١١٨).

المستفاد من هذه القصة أنَّ ذلك العالم أمر التّائب بأن يخرج من القرية لا يبقى فيها؛ لأنَّ أصحابها أصحاب سوء، ولن يعينوه على التَّوبة والطاعة والاستقامة، فمن ترك شيئًا لله -عزَّ وجل- عوَّضه الله خيرًا منه ، اُتْرك أصدقاء السُّوءِ لِلَّه -عزَّ وجل- وسيعوِّضك الله خيرًا منهم.

(وصحبة الأشرار دَاءٌ وَعَـمَى تَزِيْدُ في القَلْبِ السّقِيْم السّقَمَا)؛ أي: تزيد القلب المريض مرضًا، تجد الشَّاب يريد التَّوبة ويسعى إليها، فيجلس مع هؤلاء يذكرونه بالمعاصي ويفتحون عليه باب الشَّهوات كالزنا والسَّرقة وغيرها، فهذا قلَّ أن يثبت، بل يستحيل أن يثبت على الطَّاعة وهو مقيم على مخالطة هؤلاء.

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

فَإِن تَبِعْـــــــت سُــنّـــــــة   فَاحْذَرْ قَرِيْـــــنَ السُـــــوءِ والدّنيّ

أي: وإن كنت متَّبعًا لسنَّة النَّبي محمَّد -صلَّى الله عليه وسلم-، فاحذر من قرين السُّوء من الإنس والجنِّ، وجاهده بالسنن، باظهار التَّدين والثَّبات، وقد قيل قديمًا:[٤٥]

قد هيَّؤك لأمرٍ لَو فطنت لَهُ   فاربأ نَفسك أن ترعى مَعَ الهَمَلِ

هُيِّئْتَ لأمرٍ عظيم، فاربأ بنفسك أن تكون مع الهمل الرِّعاع الهمج، الذين يعيشون بلا هدف -والعياذ بالله-.

❁ ثمَّ قال:

وَاخْتَرْ مِنَ الزَّوْجَاتِ ذَاتَ الدِّيْـــــــنِ   وَكُنْ شُجَاعًـــا فِي حِمَى العَرِيْـــــــنِ

انتقل النَّاظم هنا إلى نصيحة الشَّباب بالزَّواج، فقال: (وَاخْتَرْ مِن الزَّوْجَاتِ ذَاتَ الدِّيْـــنِ)؛ وهي ذات الدِّين والخلق والإيمان، ثمَّ (كُن شجاعًا) رجلًا (فِي حِمَى العَرِيْـــنِ)؛ أي لتحمي أسرتك وتحمي عرضها وحرمتها، فيجب أن نكون رجالًا، نقوم على مثل هذه الأمور بالحزم كقضايا التَّبرج، قضايا الاختلاط، وغيرها.

والحثُّ على الزَّواج سنَّة النبويَّة قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»،[٤٦] وقال تعالى فيمن لم يستطع

---

[٤٥] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيِّم: (١/ ١٣٥).

[٤٦] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج»، ٥٠٦٥، (٧/ ٣).

الزَّواج: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] فالشَّاب الذي تاقت نفسه للزَّواج عليه أن يستعفِفْ، حتى يأتي الموعد -وما أقرب هذا الموعد- ، والله تعالى يقدِّم ويؤخر بحكمة لا يعلمها إلَّا هو سبحانه.

والزَّواج يكون من ذات الدِّين، التي تخاف الله ربَّ العالمين، صاحبة الخُلق وصاحبة الإيمان، فإن كان معه شيءٌ من الجمال فخيرٌ على خير، لكنَّ الأصل الدِّين، وأنا أرى من لشَّباب اليوم أخطاء جسيمة يقعون فيها، إذا أراد الزَّواج يتبع هواه، فإذا وقعت المشاكل يريدون الرُّجوع إلى الدِّين، فاختاروا ذات الدِّين، قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»،[٤٧] أي: وُضِعت يداك في التُّراب، فلو اخترت ذات الدِّين سيحسِّنها الله في نظرك ويمتِّعك بها، وتصبح أحب النَّاس إليك، واسألوا المتزوجين واستفيدوا من إخوانكم كبار السِّن، من له خبرة في الزَّواج سيعطيك الخلاصة الواضحة البيِّنة والله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]

❁ ثمَّ قال المصنِّف -رحمه الله-:

وَزَوِّدِ الأَوْلَادَ بِالآدَابِ النَّبِي　　　تَحْفَظْ قُلُوبَهُم مِنَ الأَوْصَابِ

أي: ويجب عليك أيُّها المسلم أن تعلِّم أولادك الآداب الشَّرعية والأخلاق السَّامية؛ حتى تحفظ قلوبهم من الأوصاب، والأوصاب: جمع وَصَبْ؛ وهو المرض، أي: حتى تحفظ أولادك من أمراض القلوب فعليك تزويدهم بالآداب، فتعليم الأولاد الصِّغار الآداب مهمٌّ جدًّا؛ لأنَّ الولد الصَّغير ينشأ على ما تعوَّد عليه، كما قال الشَّاعر:[٤٨]

[٤٧] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب الإكفاء في الدِّين، ٥٠٩٠، (٧/ ٧).

[٤٨] السِّحر الحلال في الحكم والأمثال، لأحمد الهاشمي: ص ١١٢.

وينشأ نـــاشيء الفتيان منّـــا   على مَا كَـــانَ عوّده أبوهُ

فلا تهملوا أولادكم معشر المسلمين، فإنَّ بعض الأولياء يستقيل من التَّربية بحجَّة أنَّه يجلب الرِّزق ويتعب في جلبه، والله -سبحانه وتعالى- أبطل هذه الشُّبهة فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] ؛ أي: لا تهمل أمر أولادك واصبر، وداوم التَّأديب، وأعظم ما تؤدبهم عليه الصَّلاة.

❁ البيت السَّابع والعشرين وهو قولُ النَّاظم:

وَهَـــذِّبِ النُّفُـــوسَ بالقُـــرْآنِ   وَلا تَدَعْـــهَـــا نُهْبَةَ الشّيْطَـــانِ

أي: ونقِّ نفسك أيُّها الشابُ وهذِّبها بالقرآن العظيم، ولا تَدَعْها نُهبةً يسرقها الشَّيطان، هذا القرآن العظيم الذي جعله الله -سبحانه وتعالى- شفاءً لما في الصُّدور، هذا القرآن الذي جعله الله -تبارك وتعالى- دستورًا للشَّباب، بل وللأمَّة جميعًا.

في هذا البيت -معشر المسلمين- فوائد:

أولًا: أنَّ القرآن الكريم كتاب محوريٌّ في حياة أيِّ شابٍّ مسلم، ومن لم يجعل القرآن العظيم محور حياته فقد فاته خيرٌ كبير، وقلّ أن يُفلِح من لم يجعل القرآن العظيم منطلقَهُ ودستوره، يستمدُّ منه أخلاقه وعقائده وأحكامه.

ثانيا: فيه كذلك أنَّ القرآن العظيم شفاءٌ لما في الصُّدور، وشفاءٌ لجميع الأمراض البدنيَّة والنَّفسية والرُّوحيَّة، فأين هم الشَّباب الذين يشتكون من الوساوس والخطرات والأزمات النَّفسية؟ الدَّواء واضح، إنَّه كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] فالقرآن العظيم رحمةٌ وشفاءٌ للمؤمنين.

ثالثا: فيه كذلك -معشر الشَّباب- أنَّ هذا القرآن العظيم الذي تجتمعون عليه تلاوةً وتدبرًا وتفسيرًا يهدي للَّتي أقوم، كما قال الله -تبارك وتعالى- في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ، كلُّ شيء تريد معرفة وجه الصَّواب فيه فعليك بالقرآن، فإنَّ القرآن العظيم هدانا لأعدل الطُّرق والمسالك.

رابعا: فيه أنَّ الإعراض عن القرآن الكريم هو علامة الضَّلال والانتكاس -والعياذ بالله-، فالإعراض عن القرآن الكريم وعن هديه وأخلاقه يعني الإرتماء في أحضان الشَّيطان؛ كما قال المصنِّف هنا:

وَهَذِّبِ النُفُوسَ بالقُرْآنِ وَلا تَدَعهَا نُهْبَةَ الشَّيْطَانِ

فالذي لا يهذِّب نفسه بالقرآن سيقع فريسة للشَّيطان لا محالة.

❁ ثمَّ قال عبد الرحمن الأخضري -رحمه الله-:

وَاحْرِصْ عَلَى مَا سَنَّه الرَّسُولُ فَهوَ الهُدَى وَالحَقُّ إِذْ يَقُولُ

بعد أن أوصى النَّاظم بالقرآن العظيم خيرًا، أوصى بشقيقة القرآن ألا وهي السنَّة، كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الوحي الثَّاني الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤] فلا يكفي -أيُّها الشَّاب- أن تتمسَّك بالقرآن حتى تتمسَّك بسنَّة النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، وقد أوصى بهما -عليه الصلاة والسلام- حين قال: «كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»،[٤٩] فالتَّمسك بالكتاب والسنَّة هو علامة الفلاح والنَّجاح.

فيه أيها الأكارم أنَّ السنَّة شقيقة القرآن توضح مجمله وتفسِّرُ معانيه ولا سبيل لنا للعمل بالقرآن إلَّا بالسنَّة، لا يمكن أن يكون الإنسان قرآنيًا حقيقيًّا إلَّا إذا حكَّم سنَّة النَّبي -عليه الصلاة

[٤٩] أخرجه الحاكم، في المستدرك، كتاب العلم، أمَّا حديث عبد الله بن نمير، ٣١٩، (١/ ١٧٢).

والسلام-، وأمَّا الدّعوى الباطلة التي جاء بها بعض الأفَّاكِين؛ دعوى الاقتصار على القرآن ونبذ السنَّة، فهي دعوى شيطانيَّة، المراد منها القضاء على القرآن والسنَّة جميعها.

فيه -معشر المسلمين- أنَّ سنَّة النَّبي -صلى الله عليه وسلم- كلُّها حقٌّ، فهي وحيٌ يجب علينا أن نتبعها وأن نحكِّمها في الكبير والصغير، ويجب على الشَّاب أن يعلم أنَّها كما قال مالك: "مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك".[50]

❁ ثمَّ قال النَّاظم -رحمه الله-:

دَعْ عَنْكَ ما يَقُـــــولُه الضُّلّالُ فَفِيْــــــهِ كلُّ الخُسْرِوَالوَبَـــالُ

أي: بعد تمسُّكك بالقرآن والسنَّة أُترك عليك أقوال الضَّالين الذين يضلُّون النَّاس بأفكارهم وآرائهم وأهوائهم، فإنَّ الشَّاب حال شبابه تُعْرَضُ عليه آراء مزخرفة يدَّعي أصحابُهَا العقلانية والمنطقية والواقعية، أفكار من هنا وهناك، ولعلَّ الشَّاب يتيهُ بين هذه الأفكار، فنصحَهُ النَّاظم أن يدع عنه هذه الأفكار؛ لأنَّها من بنات البشر، والذي ينجيك عند الله -سبحانه وتعالى- هو الوحي وليس الأفكار.

الوحي معصوم، أمَّا الأفكار فقد تكون اليوم صالحة وغدا ليست صالحة، قد يقولها الرَّجل يقصد بها الشَّر العظيم ويحسب النَّاس أنَّها خيرٌ، والسَّبب في ذلك ضعف العلم وعدم المعرفة بحقيقة الأمور.

(دَعْ عَنْكَ ما يَقُــولُه الضُّلاّلُ)؛ أي: أيُّها الشَّاب أترك عليك ما يقوله أهل الضَّلالة الذين يريدون الميل عن طريقة القرآن، وطريق سنَّة النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، والحقيقة هذا الذي يعيشه الشَّباب، الشباب اليوم يعيشون حالة من الحرب الفكرية، تموُّجات من هنا وهناك، ويأتي الواحد من وهو في حيرة وفي شك ماذا أتبع؟ على مذهب مَنْ أعبد الله -سبحانه وتعالى-؟ رويدَكَ رويدَكَ فالله -

---

[50] مجموع الفتاوى، لابن تيميَّة: (٤/ ١٣٧).

عزَّ وجل- لم يكلّفك أن تتبنّى أفكار العباد، بل كلّفك بأن تعمل بالوحي، بكتاب الله وسنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام- بفهم سلفنا الصَّالح -رضي الله تعالى عنهم-.

فيه -أيُّها الأكارم- أنَّ الاعتصام بالسنَّة النَّبويَّة نجاةٌ، قال -صلى الله عليه وسلم-: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»؛[51] هذه وصية النَّبي -عليه الصلاة والسلام-

فيه -أيُّها الأكارم- أنَّ الشّاب يجب عليه أن ينشأ في السنَّة وأن يترعرع في السنَّة حتى لا يعرف غيرها؛ لأنَّه من نشأ في البدع وخالط أهل البدع، وعرف المحدثات، صعبٌ جدًا أن يتخلَّص منها في الكِبر، فإنَّ من نعم الله تعالى على الشَّاب المسلم أن يتربَّى في وسط سنِّيٍّ لا يعرف إلَّا كتاب الله -عزَّ وجل- وسنَّة نبيِّه -عليه الصلاة والسلام- والفقه في الدِّين والشَّمائل والسِّيرة، لا يعرف طرقا ولا تحزبات، يعيش على الفطرة فيطمئن قلبه بالإيمان، وتطمئن نفسه بهذا الدِّين العظيم، فلا يزال سعيدًا بدينه حتى يلقى الله -سبحانه وتعالى-.

(فَفِيْـهِ كُلُّ الخُسْرِ وَالوَبَـالُ)؛ أي: أنَّ اتباع هذه الأقوال المضلِّلة فيه الخسارة والوبال، خسارة الدُّنيا وخسارة الآخرة، وقد خطَّ لنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام خطًّا طويلًا فقال: هذا هو الصِّراط المستقيم، وخطَّ خطوطاً قصيرة أخرى، وقال: هذه السُّبل على رأس كلِّ سبيلٍ منها شيطان، من أجابه قذفه في النَّار.[52]

فاسلكوا الصِّراط المستقيم؛ وهو صراطٌ لا اعوجاج فيه، معالمه واضحة وهي: تعظيم القرآن، وتعظيم السنَّة، وعدم التَّعصب للرِّجال، وابتغاء الآخرة، والزُّهد في الحياة الدُّنيا، صراطٌ عنوانُه توحيدُ الله -

[51] أخرجه ابن ماجه، في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصَّحابة والعلم، اتباع سنة الخلفاء الرَّاشدين المهديين، ٤٢، (١/ ١٥).

[52] أخرجه الحاكم، في المستدرك، كتاب التفسير: قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، في ما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير. السور، تفسير سورة الأنعام، ٣٢٤١، (٢/ ٣٤٨).

سبحانه وتعالى- لأنَّه الغاية التي خُلِقنا من أجلها، صراطٌ مشَى عليه الأنبياء ومن قبلنا، صراطٌ عليه نورُ العلم، ونورُ الاتِّباع، هذه أهمُّ خصائصه.

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

وَأَصْدَقُ الحَدِيْـــــثِ قَـــولُ رَبِّنَا   وَخَيْرُ هَـــــدْيِ اللهِ عَن نَبِيِّنَـــــا

وهذا مقتبس من الخطبة المشهورة للنَّبي -عليه الصلاة والسلام- التي كان يفتتحها دائمًا فيقول: «إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».[٥٣]

(وَأَصْدَقُ الحَدِيْـثِ قَـولُ رَبِّنَا)؛ القرآن أحسن الحديث بمعنى أنَّ النَّاس يتحدث به، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣] ؛ فسمّى -سبحانه وتعالى- كتابه حديثًا من حيث أنَّه يُتحدَّث به، فيه نبَّأ من كان قبلنا وخبر من سيأتي بعدنا، هو الفصل وليس بالهزل، من تمسَّك به أعزَّه الله تعالى ورفعه، ومن أعرض عنه فإنَّ له معيشة ضنكا.

لذلك يجب أن نعمِّر به مجالسنا، وأن نفتتحها به، وأن نجعله محور مدارستنا، عوض أن نتدارس كلام فلان وعلان، وأن نأخذ ونأتي في أفكار النَّاس، فهو أفضل الحديث.

(وَخَيْرُ هَـدْيِ اللهِ عَن نَبِيِّنَـا)؛ أي: وخير الهدي ما جاء عن نبيِّنا محمَّد -صلى الله عليه وسلم-، والهدي: هو السُّلوك والطريقة، فيجب عليك -أيُّها الشَّاب- أن تجعل النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قدوتك، وكذا الصَّحابة الكرام فهديهم هو خير الهدى، ومهما زيّنوا لك الأفكار المعاصرة فاعلم أنَّ خير الهدي هدي محمَّد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنَّه مؤيَّد بالوحي من ربِّه -سبحانه جلَّ في علاه-.

فيه -أيُّها الأكارم- أنَّ من ظنَّ أنَّ هناك طريقة توصل إلى الله غير طريقة النَّبي -عليه الصلاة والسلام- فهو واهم، الطَّريق الموصل إلى الله واحد، هو صراط النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَأَنَّ هَذَا

---

[٥٣] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ٧٢٧٧، (٩/ ٢٩).

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وجاء في حديث الافتراق المشهور الذي رواه أبو داود: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».[٥٤]

وفي روايةٍ لأحمد: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»،[٥٥] ومعنى: «فِي النَّارِ»؛ أي: أنَّها تستحقُّ العقاب، وليس معناه مخلَّدة في النَّار.

وجاء في بعض الرِّوايات المختلف فيها: فقيل له: يا نبي الله فمن الناجي منها؟ فقال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»؛[٥٦]

الطَّريق الواحد الموصل إلى الله -سبحانه وتعالى- هو طريق الجماعة، وهي الاجتماع في الدِّين على طاعة الله وطاعة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وهي أن يتديَّن الإنسان بالدِّين الذي كان عليه النَّبي محمَّد -صلى الله عليه وسلم-.

فيه كذلك أنَّ شعار الشَّاب الموفق المهدي هو كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- بفهم السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين -رضوان الله عليهم-.

فيه كذلك أنَّه لا حاجة للشّاب للطُّرق ولا التَّحزبات، لا ما يسمى بلغتنا المعاصرة الإديولوجيات، دعوا عنكم هذه الأمور، ولا تجعلوا تدينكم مرهونًا لحزبٍ من الأحزاب أو جماعة من الجماعات؛ هذا من أكبر الأخطاء التي تضيِّع استقامة الشَّباب والتزامهم، ولو أنَّهم جعلوا استقامتهم لله تعالى وخدمةً

[٥٤] أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب السنَّة، باب شرح السنَّة، ٤٥٩٦، (٤/ ١٩٧).

[٥٥] أخرجه أحمد، في مسنده، مسند الشَّاميين، حديث معاوية بن أبي سفيان، ١٦٩٣٧، (٢٨/ ١٣٥).

[٥٦] أخرجه الأصبهاني، في الترغيب والتَّرهيب، باب الجيم، باب في فضل الجماعة والترغيب في لزومها، ٩٦٥، (١/ ٥٢٩).

لدين الإسلام العظيم ونصرةً لكتاب الله وسنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام- لعاشوا حياةً سعيدةً، ولماتوا ميتةً حسنة.

الدِّين هو ما كان عليه الصَّحابة والتَّابعون والأئمة المرضيُّون، الدين لا يتبدَّل ولا يتغيَّر، هو كما هو من أول يومٍ إلى آخر يوم بعون الله -سبحانه وتعالى- وهذا معنى قول النَّبي -عليه الصلاة والسلام-: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».[٥٧]

❁ ثمَّ قال وهو ينصح ويعظ وهذه ميزة في النَّاظم -رحمه الله- يجمع لك بين العلم والموعظة:

يا أَيُّهَا الغَفْلانُ عَن مَوْلاهُ	انْظُرْ بِأَيِ سَيئَ تَلْقَاهُ
أَمَا عَلِمْتَ الموتَ يأْتِي مُسْرِعًا	وَلَيس للإنْسَانِ إلا مَا سَعَى

(يَا أَيُّهَا الغَفْلانُ عَن مَوْلاهُ)؛ يعني: أيُّها الشَّاب الغافل عن ربِّه وعن الواجب في حقِّه، (انْظُرْ بِأَي سَيئ تَلْقَاهُ)؛ انظر إلى ذنوبك وإلى حالك كيف ستلقى ربَّك بهذه الذُّنوب وهذه المعاصي.

هذا فيه تحذيرٌ من النَّاظم من الغفلة عن لقاء الله تعالى الذي أخبر عنه النَّبي -صلى الله عليه وسلم- حين قال: «كُلُّكُمْ يُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ إِلَى أَيْمَنِهِ فَيَرَى مَا قَدَّمَ، وَإِلَى أَشْأَمِهِ فَيَنْظُرُ مَا قَدَّمَ، وَإِلَى أَمَامِهِ فَإِذَا هُوَ بِالنَّارِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».[٥٨]

إنَّ من أعظم ما نخافه على الشَّباب اليوم الغفلة وطول الأمل، والله -سبحانه وتعالى- حذَّرنا من الغفلة فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] ، انظروا إلى الآية كيف قرنت بين الغفلة واتِّباع الهوى؛ لأن التّذكر يجعلك لا تتبع الهوى وإنَّما تتَّبع الوحي، أمَّا الغفلة فهي ما خَشِيَهُ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- على أمَّته.

---

[٥٧] أخرجه أبو داود، في سننه، وحديث قرة بن إياس، ١١٧٢، (٢/ ٤٠٢).

[٥٨] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب من نوقش الحساب عذِّب، ٦٥٣٩، (٨/ ١١٢).

أيُّها الشَّباب في هذا المقطع تذكيرٌ للشَّباب ولجميع النَّاس أنَّهم سيسألون وسيقفون بين يدي ربِّهم ويُسألون عن كلِّ شيء؛ عن شبابهم فيما أبلوه، وعن أعمارهم فيما أفنوها، فليُعدّ الواحدُ منَّا لهذا السُّؤال جوابًا ولا يكوننَّ من الغافلين.

(أَمَا عَلِمْ تَ المَوتَ يَأْتِـي مُسْرِعًا)؛ فبينما هو في بُلهنية من العيش، وفي طمأنينة، فإذا بالموت يأتيه، فيصبح من أصحاب القبور، فيحاسب على القليل والكثير.

(وَلَيْسَ لِلإنْسَـانِ إلا مَا سَعَى)؛ فيوم القيامة إذا مات النَّاس لا ينفعهم إلَّا العمل الصَّالح، لا تنفعهم صحتهم ولا جمالهم ولا جاههم، إذًا لا تغترَّ لا بصحتك ولا جمالك ولا مالك ولا جاهك، فاغتنموا هذه معشر الشَّباب في العمل الصَّالح، فإنَّ العمر والله يمرُّ مرور البرق.

قد جاء في المواعظ أنَّ نوح -عليه السلام- قد مكَّنه الله تعالى وعاش ما عاش، وقيل: له لـمَّا أشرف على الموت: كيف وجدت الدُّنيا؟ فقال: وجدتها دارًا دخلتها من باب وخرجت من آخر.[٥٩]

أوقاتك نفيسة وشبابك ماضٍ كالسَّيف، فاغتنَّمه في طاعة الله ربِّ العالمين، وقد وعظنا الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٦].

فيه أنَّ الإنسان يوم القيامة ينقطع عليه كلُّ شيءٍ إلَّا عمله الصَّالح، فأعدَّ من الأعمال ما يسرُّك أن تلقاه يوم القيامة، ولا تقول لا زلت صغيرا فهذا وقت عملٍ وبذْل، فاصنع مجدك وابنِ بيتك في الجنَّة بعملك الصَّالح، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩-٤١] ، هذه الآية التي اقتبس منها النَّاظم كلامه.

[٥٩] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للأصفهاني: (٢/ ٥٠٦).

❁ ثمَّ قال عبد الرحمن:

وَلَيْسَ لِلإنْسَــــــانِ مِن بَعْدِ الأَجَلْ إلا الـــــذِي قَدّمَـــــهُ مِن العَمَلْ

أي: وليس للإنسان يوم القيامة من شيءٍ يملكه إلَّا ما قدَّمه من العمل الصَّالح، فالمال الذي خلَّفه في الدُّنيا لن يجده يوم القيامة، الجاه الذي خلَّفَه في الدُّنيا لن يجده، الأهل الزَّوجة الأولاد المعارف كلُّهم تخلَّفوا عنه، ما الذي انتقل معه إلى العالم الآخر؟ العمل الصَّالح؛ هو الذي يؤنِّسُك فقط.

فالعجيب من بعض الشَّباب أنَّهم يستكثرون من المال والجاه والمناصب، وهي ستخذلهم، ويعرضون عن العمل الصَّالح الذي به النَّجاة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]

فيه أنَّ الشَّاب يجب أن يفكر في مستقبله الحقيقي، وليس المستقبل الزَّائف الذي عُلِّمنا إيَّاه، المستقبل الحقيقي هو آخرته، هل نكون مع المتَّقين أم مع الفجَّار -والعياذ بالله-؟ كما حكى لنا أحد العلماء والأباء الشَّاميين الشَّيخ علي الطَّنطاوي -عليه رحمة الله- قال: علَّمونا منذ الصِّغر أن نعمل من أجل المستقبل، يقال: اقرأ من أجل المستقبل، قال: قرأنا، اعمل من أجل المستقبل، قال: عملنا، تزوج من أجل المستقبل، تزوجنا، قال: فكلَّما تقدَّمت بنا السِّن كلَّما أنتجوا لنا شيئًا لفعله من أجل المستقبل، قال: فمررنا بتلك المراحل وفي النِّهاية وجدنا أنَّ هذا المستقبل وهمٌ غير موجودٍ أصلًا، فالمستقبل الحقيقي هو مصيرنا في الآخرة.

فيه أنَّ الشَّهوات والنَّزوات زائلة، ولا يبقى إلَّا العمل الصّالح، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤] ، فاترك هذه الشَّهواتُ لله وسيُعوِّضك نورًا في قلبك وإيمانًا تجده في نفسِك، وطُمأنينة وسعادة لا يعلمُها إلا الله -سبحانه وتعالى-، فإنَّ تلك النَّزوة نزوة دقائق قد تجرُّ عليك ويلاتٍ وحسراتٍ عظيمة.

فيه أنَّ العمل الصالح هو الذي يؤنِّس الشَّاب في قبرهِ، وقد جاء في حديث البراء بن عازب أنَّ الميت إذا وُضِعَ في قبره يأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طيِّب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح.[٦٠]

[٦٠] أخرجه أحمد، في مسنده، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ١٨٥٣٤، (٣٠/ ٥٠١).

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

فَبَـــادِرِ التّـــــوبةَ فِي إِمْكَــانِهَا　　　مِن قَبْلِ أَنْ تُصَــــــدّ عن إِتْيَانِهَا

(فَبَـادِرِ التّـوبةَ فِي إِمْكَـانِهَا)؛ أي: فبادر -أيُّها الشَّاب- إلى التَّوبة والأوبة والرُّجوع إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنَّه ومع أنَّ باب التَّوبة مفتوح والتَّوبة لا تنقطع حتى تطلع الشَّمس من مغربها، لكن وما يدريك يا عبد الله لعَّل الموت أقرب؟ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ؛ سارعوا لأنَّ الإنسان لا يدري متى تقوم قيامته.

(مِن قَبْلِ أَنْ تُصَـدّ عن إِتْيَانِهَا)؛ أي: من قبل أن تصدَّ عن إتيان هذه التَّوبة، والصَّدُّ عن التَّوبة يكون بأمرين اثنين:

الأول: أن تقوم السَّاعة، وأنت لم تتبْ قال الله سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، وفي الحديث الصَّحيح أنَّ النّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا».[٦١]

الثَّاني: هو قيام السَّاعة الصغرى وموت الإنسان، فقد يأتي الموت فجأة، ولا يعطيك الفرصةً لتتوب من الكبائر والذُّنوب العظيمة، فبادر كما نصحك النَّاظم، قبل أن تُبَادَر، يعني: قبل أن تُبَادَرَ بالموت.

---

[٦١] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا تنفع نفس إيمانها، ٤٦٣٦، (٦/ ٥٨).

❁ ثمَّ قال النَّاظم -عليه رحمة الله-:

يَا أيُّهــــا المَغْرُورُ مَا هَذَا العَمَلْ	إلى مَتَى هَذَا التّرَاخِــي وَالكَسَـــلْ
لَوْ يَعْــــــلَمُ الإِنْسَانُ قَدْرَ مَوْتِه	مَــا ذَاقَ طُولَ الـــدّهْرِ طَعْمَ قُوتِه

هذا خطابٌ من النَّاظم -رحمه الله- إلى الشَّاب المغرور -أو المسلم المغرور- ؛ يقول له : ما هذا العمل الذي تقدِّمه، وهو لا يليق بمقام ربِّك؟ إلى متى هذا التراخي والكسل؟ وهذا تأنيبٌ من النَّاظم للشَّباب الذين يتراخون في التَّوبة، ويتراخون في العمل الصالح، ويتكاسلون عن الطَّاعات والقُرُبَات.

إنَّ الكسل والغفلة والتَّواني من أعظم الأمراض التي يُصَاب بها الشَّباب اليوم، فإيَّاك أيُّها الشَّاب أن تكون من المغرورين، ممَّن يتكاسل عن العمل الصَّالح.

لو يعلم الواحد منَّا مقدار الموت وشدَّته وحقيقته لما ذاق ولا تلذذ بشيء من قوت الدُّنيا، و لما توانى ولا تكاسل؛ لأنَّ الأمر الذي ينتظرنا أمرٌ عظيم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ، وجاء عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»،[٦٢] وقال: -عليه الصلاة والسلام-: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».[٦٣]

[٦٢] أخرجه التِّرمذي، في الجامع، أبواب الزُّهد، باب، ٢٣٠٨، (٤/ ١٣٠).

[٦٣] أخرجه البخاري، في صحيحه، أبواب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، ١٠٤٤، (٢/ ٣٤).

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

مَـالِـي أَراكَ لَـمْ تُـفِـدْ فِـيـكَ الـعِـبَـرْ وَيْحَكَ هذا القَلْبُ أقْسَـى مِن حَجَـرْ

أي: ما لي أراك لا تفيدك العبر والعظات، ولا يهتزُّ قلبك ولا يتحرَّك، (وَيْحَكَ)؛ وهو اسمه فعلٍ، معناه: الدُّعاء عليك، لماذا قلبك قاسٍ كالحجر، وهو معنى قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وهذا فيه تحذيرٌ للشَّاب من قسوة القلب التي إذا اعتادها يصبح لا يعرف معروفًا ولا يمكن منكرًا، فليِّن قلبك بذكر الله، ليِّن قلبك بعيادة المرضى، وحضور الجنائز، وتغسيل الموتى، حتى تكسر قوَّة الشَّهوة وقوة اللَّذَّة التي في قلبك.

❁ ثمَّ قال:

وأفْلَسُ النّاسِ طَوِيْلُ الأمَـــــــــــلِ مُضَيّعُ العُمْـــــــــــــرِ كَثِيْـــرُ الخطَلِ

أي: أكثر النَّاس إفلاسًا هو طويل الأمل؛ الذي عنده أملٌ بأنَّه سيعيش عمرًا طويلًا.

(كَثِيْـرُ الخَطَلِ)؛ أي: كثير الخفة والاضطراب، فهذا هو أكثر النَّاس إفلاسًا، والنَّبي -صلى الله عليه وسلم- وضَّح لنا من هو المفلس فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»، فإيَّاك تكون من المفلسين بالخوض في أعراض المؤمنين والتَّعدي على أموالهم وغيرها من المظالم، هذا الأمر عاقبتُهُ إلى خسرٍ -والعياذ بالله-.

❁ ثمَّ قال:

نَهَـارُهُ مُمْضِيـــهِ فِي البَطَـــــالَةْ وَلَيْلُهُ فِي النَّــــــومِ بِئْسَ الحَـالَةْ

أي: من صفات هذا المغرور أنَّ نهاره ماضي في البطالة، يعني: في الكسل وترك العمل، وهذه آفة العصر، تجد الشَّباب يجلسون في المقاهي بلا عمل، جلوسٌ لا يُرْجَى من ورائه خير، لا في الدِّين ولا في الدُّنيا، وهذا من أبغض ما يكون فهو من صفات المنافقين -والعياذ بالله-، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]

الكسل عن العمل الصَّالح سواءً للدُّنيا أو الآخرة من علامات النِّفاق، من أجل هذا كان النَّبي -صلى الله عليه وسلم- يتعوَّذ بالله فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ».[٦٤]

نريد شبابًا أقوياء بالنَّهار، ورهبانًا باللَّيل، نريد شباباً على قدر المسؤولية في أمر دينه ودنياه، من أراد أن يستقيم له دينه فليُحْكِم أمر دنياه وليجتهد في أمر أخراه، وللأسف الشَّديد النَّاس منهم من تجده غارقٌ في الدُّنيا، كسولٌ عن أمر الآخرة، وهناك من هو مستقيمٌ على طاعة ربِّ العالمين لكن تجده مفرِّط في أمر الدُّنيا فلا كسْبَ ولا سعي له، وهذا مذموم والصَّحابة -رضي الله عنهم- لم يكنُوا هكذا، بل جمعوا بين الدِّين والدُّنيا هذا هو الإتِّزَان الذي أمرنا به ربُّ العالمين.

٦٤ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الدَّعوات، باب التَّعوذ من الكسل والجبن والهرم والبخل، (٨/ ٧٩).

❁ ثمَّ ختم النَّاظم بدعواتٍ مباركاتٍ طيباتٍ قال فيها:

ادْعُ لَنَا يَا سَامِعًا وَصِيَّتِي بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ مَعَ الْعَطِيَّةِ

هذا تواضعٌ من الشيخ -رحمه الله؛ حيث طلب منك أن تدعوَ له، وهو عالم ومن شِيَمِ العلماء التَّواضع، والمقصود: يا من سمع هذه الوصيَّة ادعو لي بأن يعفو الله عني، ويصفح، ويعطيني ما أريده من من العطايا والمنح.

وَلا تُؤَاخِذْنَا عَلَى النِّسْيَانِ وَلا عَلَى الأَخْطَاءِ وَلا الْعِصْيَانِ

أي: يدعو الله تعالى أن لا يحاسبه ويؤاخذه على ما نسي وعلى ما أخطأ، أن يغفر له خطاياه، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

يَا رَبِّ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفَتَّانِ وَلا تُذِقْنَا حُرْقَةَ النِّيرَانِ

(يَا رَبِّ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفَتَّانِ)؛ أي: ويا ربِّ احفظنا من الفتَّان؛ والفتّان: هو الملَك الذي يفتن النَّاس في قبورهم، وقد ورد ذلك في قوله -عليه الصلاة والسلام- عن الشَّهيد: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»،[٦٥]

فالنَّاظم هنا دعا أن يحفظه الله -سبحانه وتعالى- من الفتَّان، بأن يلهِمه الجواب الصَّواب في قبره حين يفتنه الملَك.

[٦٥] أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرِّباط في سبيل الله -عزَّ وجل-، ١٦٣، (٣/ ١٥٢٠).

(وَلا تُذِقْنَــا حُرْقَةَ النِّيــرَانِ)؛ أي: يا ربَّنا النَّار المُحرِقة فإنَّه لا طاقة لأحدٍ بهذه النَّار، لا طاقة لكم أيُّها الشَّباب بهذه النَّار فخيرٌ لكم أن تعرضوا عن الذُّنوب، وتعرضوا عن الشَّهوات والملَّذات فإنَّها تجلب لكم النِّيران، وهذه النَّار ليست كنار الدُّنيا، نارٌ عظيمةٌ لا طاقة لأحدٍ بها.

يَا رَبِّ وَانْصُــرْنَـــــــا عَلَى الأَعْدَاءِ وَاحْمِ الْحِمَى مِنْ هِيشَــةِ الْغَوْغَائِي

أي: يا ربِّ انصرنا على أعدائنا من الإنس والجنِّ، على رأسهم نَفْسُنَا التي بين جنبينا هي عدوةٌ لنَّا، وكذا الشَّيطان الذي هو عدوٌ أُمِرْنَا أن نتخذه عدوًا، ثم الأعداء من الكفرة والمنافقين والملحدين، وانصرنا على الأعداء واحمنا من جماعة الغوغاء، والمقصود بالغوغاء: الجراد، والمقصود بها هنا هم الذين يجتمعون على الباطل والكلام الرَّذيل وغيرها، فالنَّاظم دعا الله تعالى أن يجنِّبه جماعة الغوغاء والكلام الفَّارغ.

❁ ثمَّ قال النَّاظم:

وَدِينَكَ احْفَــــظْهُ مَعَ الأَمَــــــــانِ لِلأَهْلِ فِي الأَقْطَــــــارِ وَالأَوْطَـــانِ

أي: ودينك أيُّها الشَّاب احفظه، وأمِّن نفسك وأهلك في جميع الأقطار والأوطان.

❁ ثمَّ قال مُناجيًا ربّه:

وَالْحَمْدُ للهِ عَلَــى الْخِتَــامِ وَالشُّكْـــرُ للهِ عَلَى الإِنْعَــامِ
مَـا أَعْـظَـمَ الإِنْـعَـامَ مِـنْ مَـوْلانَا وَأَجْزَلَ الإِفْضَــالُ إِذْ هَدَانَــا
لِنِعْمَةِ الإِيمَــانِ وَالإِسْـلامِ وَالاقْتِــدَاءِ بِسَيِّدِ الأَنَــامِ

(وَالْحَمْدُ للهِ عَلَـى الْخِتَامِ)؛ وهذه سنة أنَّ المسلمين يحمدون الله -سبحانه وتعالى- في البدء والختام.

(وَالشُّكْـرُ للهِ عَلَى الإِنْعَـامِ)؛ لأن الله تعالى هو من يستحقُّ الشُّكر، فهو الذي أنعم علينا.

(مَا أَعْظَمُ الإِنْعَامَ مِنْ مَوْلانَا وَأَجْزَلَ الإِفْضَـالُ إِذْ هَدَانَـا)؛ فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي أنعم علينا وأجزل، أي: تفضَّل علينا بالفضل الجزيل، حيث هدانا إلى كتابه وسنَّة نبيِّهِ -عليه الصلاة السلام-.

(لِنِعْمَةِ الإِيمَـانِ وَالإِسْلامِ وَالاقْتِـدَاءِ بِسَيِّدِ الأَنَـامِ)؛ وهذا فيه أنَّ نعمة الهداية أعظم النِّعم معشر المسلمين، نعمة الإيمان والإسلام والاقتداء بالنَّبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، فالحمد لله على الإسلام والسنَّة؛ فالإسلام به النَّجاة يوم القيامة، واتباع السنَّة هو سبيل النَّجاة من البدع والمحدثات في الدُّنيا، ومن النَّار يوم القيامة.

❁ واختتم قصيدته بقوله:

ثُمَّ صَلاةُ اللهِ وَالسَّلامُ ... مَا نَاحَ طَيْرُ الأَيْكِ وَالْحَمَامِ

وناح يعني: غرَّد، فصلَّى النَّاظم على النَّبي محمَّد -صلى الله عليه وسلم- في الختام بعدد تغريدات الأيك والحمام، وهذا فيه أنَّ العلماء كانوا يختتمون مجالسهم بحمد الله تعالى، والصَّلاة علي النَّبي -صلى الله عليه وسلم-.

عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ ... الْهَاشِمِي الْمُجْتَبَي
وَآلِهِ مَا انْبَلَجَ الصَّبَاحُ ... وَصَحْبِهِ مَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ

أي: على النَّبي المصطفى الذي اصطفاه ربُّ العالمين، وهو البشير المبشِّر بالخير، الهاشمي من بني هاشم، النذير الذي أنذر النَّاس، وهذه كلُّها أسماء النَّبي -عليه الصلاة والسلام-، والشيء إذا تعدَّدت أسمائه فهذا يدلُّ على عظمته.

وصلَّى كذلك على آل محمَّد؛ وهم آل بيته، من بني هاشم الذين منهم آل أبي طالب، وآل العبَّاس، وآل الحارث، وآل أبي لهب بني عبد المطلب بن هاشم، ويدخل فيهم زوجاته وأولاده وأعمامه، وآل بيته -عليه الصلاة والسلام-

وبالمعنى العام يدخل فيه كل مؤمن تقي مطيع للنَّبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنّ آل الرَّجل هم شيعته وأتباعه، وصلَّى كذلك على صحابته -رضوان الله عليهم-.

❁❁❁❁

وبذلك نكون -أيُّها الأكارم- قد ختمنا شرح هذه المنظومة الطَّريفة للإمام أبي زيد عبد الرحمن الأخضري -عليه رحمات الله -، ونسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يرحم الشَّيخ وأن يجزيه عمَّا قدَّم خير الجزاء، اللّٰهُمَّ بلِّغه سؤله يا ربَّ العالمين، وأدخله جناتك مع الأبرار، اللّٰهُمَّ وقه شرَّ النيِّران كما دعا وطلب منَّا أن ندعوا له.

فالحمد لله والصَّلاة والسلام على رسول الله على ما أتمَّ علينا من هذه النِّعم، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا للمزيد، وأن يجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، وأن يجعلنا من الرَّاشدين، والصَّلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ للحصول على الشرح الصوتي المسموع لهذا المنظومة امسح الباركود الآتي:

الفهرس